الشعر العربي في شمال الهند

خلال

النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي

بحث جامعي

لنيل شهادة ما قبل الدكتوراة

الباحث

محمد شاهد

تحت إشراف

الدكتور فيضان الله الفاروقي

مركز الدراسات العربية الافريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو نيو دلهي

٢٠٠٠

ARABIC POETRY IN NORTH INDIA

DURING 2ND HALF OF THE 19TH CENTURY A. D.

M.Phil.Dissertation.

Submitted by

Mohammad Shahid

Supervisor

DR. F.U.FAROOQ1

Centre For Arabic And African Studies
School Of Language, Literature And Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi- 110067

2000

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली–110067

Dated: 21.7.2000

DECLARATION

I declare that the material in this dissertation entitled "Arabic Poetry in North India during 2nd half of the 19th century A. D." submitted by me is original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or other university/institution.

Mohammad Shahid
Name of the Scholar

Dr. F. U. Farooqi
Supervisor

Prof. S. A. Rahman
Chairperson
CAAS/SLL&CS

Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

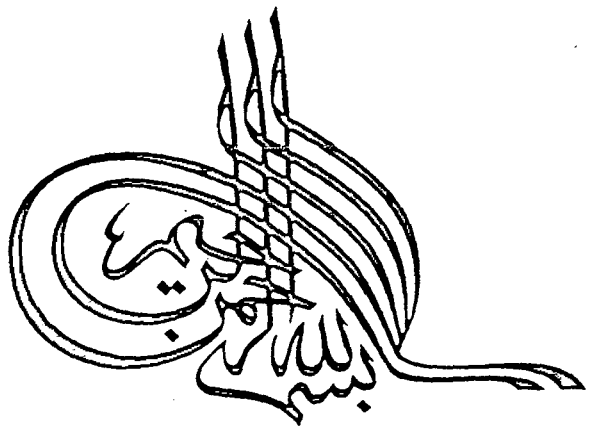
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

من الواجب أن أقدم الشكروالامتنان الى الله عز وجل الذى وفقنى لإتمام هذا البحث الوجيز- وماكان فى وسعى اتمامه إلا بمنه وتوفيقه-

كما أتقدم بالشكر والتقدير الى الاستاذ الكريم الدكتور فيضان الله الفاروقى الذى اقترح لى عنوان هذه الرسالة وأشرف على خلال إعدادها .كنت أظن أن كتابة هذه الرسالة أمر سهل جدا ولكننى لما بدأ تها انعكس الأمر وأدركت أننى لم أكن على حق. وكدت أن أترك هذا العمل العسير حتى أرشدنى الأستاذ الفاروقى وشجعنى عندما ضعفت همتى وفترت عزيمتى .ولو لا عنايته الفائقة ورعايته البالغة لما كانت هذه الأطروحة بين أيديكم .أطال الله عمره وأبقاه طويلا.

بعدئذ أعرب عن الشكر والامتنان من أعماق قلبى لأساتذتى الأجلة فى داخل الجامعة وخارجها الذين علمونى من البداية وحثوا على النشاطات الأكاديمية الأخرى وأهلونى للقراء ة والكتابة .ووجب على أن أتقدم بالشكر الى زملائى الأحبة. عليم أشرف الجائسى ،محمد طارق الظلى ،محمد أجمل ،طاهر هلال لارى ،محمد أطهر خان ،عرفات ظفر ،عطاء الرحمان والى الجميع الذين قدموا مساعدة قيمة فى كل مرحلة من المراحل خلال جمع البيانات إعداد هذه الأطروحة .وأخص هنا بالشكر والذكر شهاب الدين الأعظمى مؤظف مكتبة ذاكر حسين الذى وفر لى كتبا مفيدة والأح ضياء الأعظمى الذى اهتم بطباعة هذه الأطروحة على الكمبيوتر بمنتهى السرعة وبالغ الاهتمام .

المقـــدمـــة

الهند دولة مخصبة من قديم الزمان .قد لفتت أنظار الأجانب اليها فى العصور المختلفة .كان التجار العرب يردون اليها حتى من قبل مجيئة الاسلام وجاؤوا عن طريق البحر فأقاموا بـ"تانة " قرب مومبائى و" بروص " بولاية غجرات .ثم أ رسل عثمان بن أبى العاص الثقفى محافظ عمان فى خلافة عمر بن الخطاب أخاه مغيرة الى سواحل الهند . وأسس هولاء العرب مدارس اسلامية للدراسات الدينية التى ساهمت فى تطوير اللغة العربية بالهند وكذلك كانت الهند قبلة أنظار الغزاة والفاتحين الذين هاجموا عليها غير مرة .وغزا محمد بن قاسم الهند سنة ٩٢هـ وأنشأ الحكومة العربية بها وحكمها العرب ثلاث مائة سنة .

الهند بلاد عجمية لم تكن اللغة العربية لغة رسمية لها الا فى العصرالذى حكم فيه العرب الهند .ولكنها لم تكن لغة رسمية الا لبعض المناطق التى كانوا يحكمونها وهى السند وملتان ولاهور .مع ذلك قد أنجبت بلاد الهند الشعراء والأدباء البارزين فى العربية منهم ابو عطاء السندى وابو ضلع السندى ومحمد حيات السندى وملا جيون وغيرهم .

تاريخ الشعر العربى فى الهند عريق ويعود الى مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى الذى هاجر أبوه من الهمدان الى الهند وأقام بمدينة لاهور .منذ ذلك الحين يتطور الشعر العربى شيئا فشيئا وظهر عديد من الشعراء كأمثال القاضى عبد المقتدر الكندى المتوفى (٧٩١)وأحمد بن محمد التانيسرى المتوفى (٨٢٠)والشيخ غلام نقشبند المتوفى (١١٣٦)والشاه ولى الله الدهلوى المتوفى(١١٧٦) وغلام على آزاد البلكرامى المتوفى (١٢٠٠).

ثم ظهرت فيما بعد جماعة من الشعراء المتفوقين فى الهند خلال القرن التاسع

عشر الميلادى .وساهم هولاء الشعراء فى الشعر العربى وتركوا بعدهم دواوين لهم منهم المفتى محمد عباس اللكنوى والشاه عبد العزيز الدهلوى والعلامة فضل حق الخير آبادى والشاه رفيع الدين الدهلوى وذوالفقار على الديوبندى وفيض الحسن سهارنفورى وانور شاه الكاشميرى وغيرهم .

قد جعلت "الشعر العربى فى شمال الهند خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر " موضوعا لبحثى .ولا شك فى انه قام بعض من الباحثين بالبحث حول الشعر العربى فى الهند ولكنه يتطلب الى دراسة منظمة .ولم يتحمل أحد منهم هذه المهمة حتى الآن .هذا البحث معنى بالدراسة المنظمة والتاريخية للموضوع التى تغطى الحقائق التى لم يمسها باحث آخر .وعليه اخترت هذا العصر لانه كان عصر الاضطراب والقلق للهنود عامة وللمسلمين خاصة بسبب احتلال الانجليز وتصرفاتهم الغاشمة .وتأثر الشعراء بتعسفهم واعتداء ا تهم لانهم يكونون اكثر الناس انفعالا فتناولوها بأشعارهم .

وقد بوبت أطروحتى هذه الى أ ربعة ابواب كما هى يلى :

الباب الأول: تطور الشعر العربى فى الهند من القرن الواحد عشر حتى الثامن عشر الميلادى .فيه استعراض موجز له ويحتوى هذا الباب على ثلاثة فصول .يتناول الفصل الأول تطور الشعر العربى فى عصر السلاطين والثانى يعالج تطور الشعر العربى فى عصر المغول والثالث فى الشعر العربى فى العصر الانجليزى .

الباب الثانى : الشعر العربى منذ ١٨٥٠م حتى ١٩٠٠ م ويحتوى هذا الباب على اربعة فصول :الفصل الأول ذكرت فيه الوضع السياسى فى العصر الانجليزى .والثانى : فيه الوضع الدينى فى العصر الانجليزى والثالث فيه الوضع الاجتماعى فى العصر الانجليزى .والفصل الرابع يتناول الأشعار التى غلب عليها الأثرالمحلى من ازدهار

اللغة الفارسية فى ذلك العصر .والباب الثالث : فيه الشعر العربى من ١٨٥٠م حتى ١٩٠٠م وفيه أعلام الشعر العربى فى الهند ويشتمل هذاالباب على أربعة فصول : الفصل الأول يتناول حياة الشاه عبد العزيز الدهلوى وشعره والفصل الثانى و ناقشت فيه حول حياة المفتى محمد عباس اللكنوى وشعره والفصل الثالث فى ذكر ذى الفقار على الديوبندى وشعره .

قد برز كثير من الشعراء فى هذه الفترة ـ برعوا وأجادوا فى أشعارهم وتركوا مآثر جليلة فى هذا الصدد ولكنى انتخبت ثلاثة منهم وناقشت حياتهم وأشعارهم وتركت غيرهم لمخافة الإطالة والحق انه عمل عسير لفرد واحد ان يناقش جميع الشعراء المتواجدين فى تلك الفترة.

وقد حاولت بما فى وسعى أن أقوم بالبحث كما يجب وبذلت قصارى جهدى فى اعداد هذه الأطروحة. وعليه سافرت الى عدة مكتبات لكى احصل على المواد الكافية وأودى حقها ولا ادرى أ نجحت فى عملى أم فشلت فى أملى و اذا رأيتها وجدت أننى ما أصبت الهدف ولم تتحقق الغاية كما تستحق .وأتأسف أيما تأسف على هذه الخيبة ولكننى لا أقنط من رحمة الله تعالى وأدعوه أن يجعلها مفيدة ونافعة للناظرين والقارئين . آمين .

محمد شاهد

٣١٤/ كاويرى

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهى ٦٧

٢٠/٧/٢٠٠٠م

الباب الأول

في

الشعر العربي في الهند

(١١٠٠م — ١٨٠٠م)

الفصل الأول

في

الشعر العربي في عصر السلاطين

قد فتح محمد بن قاسم السند وملتان فى سنة ٩٢الهجرية المصادف سنة ٧١٢ الميلادية وحكمها أربع سنوات ولا غرابة فى أنه لولم يعزل عن قيادة الجيش لفتح أقصى مناطق الهند .إن العرب قد حكموا ثلاث مأة سنة تقريبا على السند وملتان ولكنهم لم يضيفوا فيها شيئا من البلاد المفتوحة .فكان الهنود يحكمون فى شمال الهند آمنين مطمئنين ولم يتوجه أحد من الغزاة المسلمين الى الهند إلا أن الملك ناصر الدين سبكتكين قد تقدم اليها.

كان الملك سبكتكين من عبيد أبى اسحاق بن الپتكين قائد الجيش الغزنى السامانى ،عندما توفى ابواسحاق بن الپتكين سنة ٣٦٦ هـ فلم يبق فى أسرته أحد يتأهل لسياد ةالأمور فقدم الناس قيادة الجيش الى الملك ناصرالدين سبكتكين دون أى نزاع لأنه كان رجلاً كريما وصالحا وفيا يصفه السيد عبد الحى الحسنى " كان عادلا خيرا ، كثير الجهاد ،حسن الاعتقاد ، ذامروء ة تامة وحسن عهد ووفاء ،لا جرم بارك الله فى بيته ودام ملكهم مدة طويلة جاوزت مدة ملك الساما نية والسلجوقية وغيرهم".(١)

اعتلى الملك سبكتكين عرش المملكة فى غزنة سنة ٩٧٦م ساس أمور رعيته بلباقة وطار صيته فى أنحاء المملكة ونال حفاوة كبيرة من النـــاس. فاغضب هذا "جى پال" وجمع أفواجا وأعد جيشا كبيرا ونزل بها فى ساحة الحر ب ليقاتل الملك ناصرالدين سبكتكين ،دارت رحى الحرب بينهما طويلا حتى هزم الملك سبكتكين "جى بال" شر هزيمة واضطر الى المسالمة وخلص نفسه بخمسين فيلا ومليون درهم ووعد أنه يرسل الافيال والاموال من بلده بواسطة من يرسله الملك معه من المسلمين

ولكنه لما وصل الى لاهور نسى وعده ونكث عهده حتى ألقى القبض على اصحاب الملك ناصر الدين . فلما سمع الملك عما قام به 'جى بال' من الخيانة طار غضبه حتى جمع العساكر وزحف الى الهند ولم يكن 'جى بال ' شاغلا عن تقدم الملك فاقترب الى الملوك الهنادك واستعان بهم وخرج هؤلاء الملوك متحدين لمساعدته لقيهم ناصر الدين فى "لمغان" ووقعت بينهم حرب طاحنة . وفى أول وهلة اضطرب الملك بقوة ذلك الجيش الجرار ولكنه ارتدى برداء الصبر والثبات ودبر أمره . ويقول عبد الحئ الحسنى : "انه أمر أصحابه أن يتناوبوا القتال مع الهنود ففعلوا ذلك فضجر الهنود من دوام القتال معهم وحمل جيش الملك عليهم حملة واحدة فعند ذلك اشتد الأمر وعظم الخطب وحمل المسلمون جميعهم واختلط بعضهم ببعض فانهزم الهنود وأخذهم السيف من كل جانب وأسر منهم ما لايعد وغنم أموالهم واثقالهم ودوابهم الكثيرة وذل الهنود بعد هذه الوقعة ولم يكن بعدها رأية. "(٢)

وفوق ذلك إنه قد زحف الى أماكن أخرى وقاتل الذين خرجوا للحرب ، وغزا على كابل حتى افتتحها وبشاور.إنه قد توفى سنة ٩٩٧م فى بلخ بعد أن حكم لفترة عشرين سنة بالبراعة وحسن الانتظام قد القيت ضوء ا خفيفا على الخلفية السياسية فى عصر الامارة الغزنوية الآن أذكر الجانب الأدبى لهذا العصر .

يمتد عصر السلاطين من سنة ٩٩٨م حتى سنة ١٥٢٦م ويحتوى على ادوار مختلفة منها العهد الغزنوى و عهد الغوريين وعهد سلاطين المماليك وعهد السلاطين الخلجية وعهد أسرة تغلق وعهد الأسرة اللودية .

بعد ما توفى الملك ناصر الدين سبكتغين إعتلى عرش المملكة ابنه السلطان محمود الغزنوى سنة ٩٩٨م ينفرد عصره للفتوحات العلمية الى جانب الفتوحات السياسية .انه كان عالما بارعا ،وكان يبذل قصارى جهده فى ترويج العلم والأدب

وكان يجامل العلماء ويصنع المعروف اليهم حتى أجمع كثيرا من العلماء والأدباء والشعراء من دول آسيا النائية فى بلاطه ويقول شمس تبريز خان الندوى "إن الشعراء والأدباء الذين حضروا بلاطه يبلغ عددهم الى أربع مأة (٣) وكان يحب مصاحبتهم ويعامل معهم أحسن المعاملة .وقد أحاط المؤرخون به مدحا لحبه العلم واستحسانه العلماء .ومن الشعراء الذين نالوا سمعة فى بلاطه الفردوسى والعسجدى والعنصرى والفرخى .ويقول السيد عبد الحى الحسنى " إنه كان عاقلا دينا خيرا عنده علم ومعرفة وصنف له العماء كثيرا من الكتب فى فنون العلم وقصده أهل العلم من أقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن اليهم وكان عادلا كثيرالاحسان الى رعيته والرفق بهم ، كثير المعروف ،كثير الغزوات وملازما للجهاد ، فتو حه مشهورة وفيه ما يستدل على بذل نفسه لله تعالى واهتمامه بالجهاد ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل الى أخذ الأموال بكل طريق".(٤)

وكان محمود مثقفا بالثقافات الفارسية والعربية و كان ولوعا باللغة العربية الفارسية الى جانب كونه ممعن النظر فى اللغة العربية وكان يجيد هذه اللغة وقد صنف فيها كتبا عديدة فى مختلف الفنون منها "التفريد فى الفروع" فى الفقه .ذكر ه صاحب كشف الظنون ونقل من الإمام مسعود بن شيبة أن السلطان المذكور كان من أعيان الفقهاء وكتابه هذا مشهور فى بلاد غزنة وهو فى غاية الجودة و كثرة المسائل ولعله نحو ستين الف مسألة .(٥)

ذكرت آنفا أنه كان يجمع العلماء ويحب مصاحبتهم وكان بنفسه من أعيان الفقهاء فكان يحضرالمناقشة العلمية التى كانت تجرى بين العلماء الأحناف والشوافع .توفى محمود الغزنوى سنة ٤٢١هـ المصادف سنة ١٠٣٠، وتولى العرش ابنه السلطان شهاب الدين مسعود.

اتبع مسعود اباه فى حب العلم والمعرفة وتشجيع العلماء والفضلاء مع أنه لم تتيسر له الإمارة لمدة طويلة لأنه قد فشل من أجل ظهور المتمردين ،مع ذلك قد أجمع فى بلاطه عديد من العلماء والفضلاء ،وظهرت على حيز الوجود كتب عديدة منها "القانون المسعودى " فى الفنون الرياضية صنفه ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى وقد أهدى البيرونى هذا الكتاب لإسم مسعود كان كثير الصدقة والاحسان الىأهل الحاجة .كان يبذل الأموال على الشعراء لتشجيعهم ويقول عبدالحى الحسنى "انه أعطى شاعرا على قصيدة الف دينار واعطى آخر ا بكل بيت الف درهم .(٦)

ثم اعتلى العرش ابناء ه انما السلطان ابراهيم قد حكم اربعين سنة وتطور العلم والادب فى عصره ويقول الشيخ محمد اكرام "قد تحولت لاهور فى امارة ابراهيم الغزنوى (١٠٥٩ ـ١٠٩٨)مركزا للنشاطات العلمية وعلى حد قول العوفى بل كان مركز ا كبيرا للعلم والدراية .أحد من وزراء ابراهيم كان اسمه ابا نصر الفارسى الذى اشتهر بالأديب من نشاطاته الادبية والعلمية .كان مربيا للعلم والمعرفة ـ انه قد بنى زاوية (خانقاه) بمدينة لاهور التى كانت مأوى للعلماء والشيوخ وجعل يقصداليها العلماء شيئا فشيئا من لاهور وبلخ ونجارا والبلدان الأخرى(٧)

ـ توفى السلطان رضى الدين ابراهيم سنة ٤٨١ الهجرية وحكم البلاد بعده إبنه وأحفاده الذين أشرفوا على العلم والأدب منهم معز الدولة بهرام شاه صنف له العلماء كتبا عديدة. تولى عرش الملك إبنه خسرو شاه الذى كان يحب العلم ويكرم العلماء ثم حكم البلاد ابنه خسرو ملك وانتهت عليه الإمارة الغزنية. وقد استغرقت حكومة الغزنويين حوالى مأتى سنة.

العهد الغزنوى :

قبل أن اذكر الشعر والشعراء فى هذه العصر يحسن لى أن القى ضوء ا على لغة ذلك العصر. فالمعلوم أن الحكومة الغزنوية قامت مباشرة بعد الحكم العربى فى الهند وعندما كان العرب يحكمون السند وملتان كانت لغة هذه البلاد الرسمية لغة عربية فاتخذ سلاطين غزنة اللغة العربية لغة رسمية للمناطق التى كانوا يحكمونها. وكان يتم القيام بالأعمال الإدارية كلها بالعربية عامة. وكانت العربية فى الشرق لغة ادارية' مع أن الامارات المستقلة غير العربية قدظهرت' لكن اللغة الفارسية أو التركية لم تزدهرا إلى درجة أن تقوم بالأعمال الإدارية.

ويقول الاستاذ محمد منور: "إن الإعمال الادارية كانت تقام بها بالعربية فى عصر محمود. و وزيره الأول أبو العباس فضل بن أحمد الأسفرائنى لم تكن له معرفة والمام بالعربية فجعل يكتب الأمور الملكية والمكاتبات الرسمية بالفارسية عندما تولى بعده بزمام الوزارة أحمد بن حسن الميمندى اتخذ العربية من جديد لغة المكاتبات والقرارات."(٨)

ويقول شمس تبريز خان: "إن عصر الغزنويين كان ملائما للغة العربية ولكن السلجوق والمغول بعدهم اتخذوا اللغتين الفارسية والتركية لغة رسمية لاداء الأعمال الادارية فتوقف ازدهار اللغة العربية فى المناطق الشرقية".(٩)

فظهر أن اللغة الرسمية فى هذا العصر كانت عربية ولكن الفارسية بدأت تنشأ. من أجل ذلك نرى أنه ظهر فيها كثير من الشعراء فى العربية. منهم عطاء بن يعقوب الغزنوى ومحمد بن عبدالجبار العتبى وأحمد بن حسن الميمندى وأشهر الشعراء لذلك العصر مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى والشاعرة رابعة بنت كعب

القزدارى ولكن اذكرهنا شاعرا أو شاعرين من التجنب عن الطول.

عطاء بن يعقوب الغزنوى:

هو ابوالعلاء عطاء بن يعقوب الغزنوى. اشتهر بناكوك كان عالما مجيدا. وجاء ذكره فى لباب الالباب لنور الدين محمد العوفى وفى "دمية القصر" لأبى الحسن على بن الحسن الباحرزى وفى معجم الادباء لياقوت الحموى. عندما تولى السلطان ابراهيم علاء الدين بن مسعود بزمام المملكة بالهند كان ابوالعلاء اسيرا فى سجن بلاهور ومضى على أسره ثمانى سنوات. وقد ترك ديوانا فى العربية والفارسية كلتيهما. وقد ذكر السيد عبدالحئ الحسنى نموذجا من شعره العربى فى نزهة الخواطر.

ومن شعره قوله:(١٠)

الله جار عصابة و دعتهم والدمع يهمى والفؤاد يهيم
قد كان دهرى جنة فى ظلهم ساروا فاضحى الدهر وهو جحيم
كانوا غيوث سماحة وتكرم فاليوم بعدهم الجفون غيوم
رحلوا على رغمى ولكن حبهم بين الفؤاد المستهام مقيم
قدخانهم صرف الزمان لأنهم كانوا كراما و الزمان لئيم
طلقت لذاتى ثلاثا بعدهم حتى يعود العقد وهو نظيم
الله حيث تحملوا جار لهم والأمن دار والسرور نديم
والعيش غض والمناهل عذبة والجو طلق والرياح نسيم

قدنظم هذه الأبيات على غرار الشعراء العربى الاسلاميين. ورثا بها جماعة فارقته. وله أسلوب رائق ومعنى رقيق فيها.

مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى:

هو أول شاعر هندى نظم أشعارا فى العربية. انتقل ابوه من همدان إلى الهند وأقام بلاهور وقد ذكره محمد العوفى فى كتابه "لباب الالباب" إنه ولد ونشأ بهمدان ولكن الحقيقة هى أن مسعود بن عبدالوهاب القزوينى قد ولد بمدينة لاهور ونشأ بها ، يقول الدكتور زبيد أحمد ناقلا عن مرزامحمد كلامه "إن مسعود قد ولد، وجيئ به إلى لاهور.(١١)

وقد اكثر فى الشعر وترك له ثلاثة دواوين فى اللغات الثلاث: العربية والفارسية والهندية: ديوانه الفارسى متواجد مع الناس ولكن الديوانين العربى والهندى قد ذهبت بهما الأيام ومرور السنين. ومن شعره قوله:(١٢)

ثق بالحسام فانه ميمون أبدا وقل للنصر كن فيكون

ومن شعره: قوله: (١٣)

قدركضت فى الدجى علينا دهما خداريـــة الاعنـــة

فبت اقـتـامـــنهـا فـكانت حـبـلى نهـاديـة الأجـنـة

ومن شعره قوله:(١٤)

وليل كأن الشمس ضلت ممرها وليس لها نحو المشارق مرجع

نظرت اليه والظلام كأنه على العين غربان من الجو وقع

فقلت لقلبى طال ليلى وليس لى من الهم منجاة وفى الصبر مفزع

أرى ذنب السرحان فى الجو ساطعا فهل ممكن أن الغزالة تطلع

وقد ذكر غلام على آزاد البكرامى أن فى هذه الأشعار ايهام وتورية(١٥)، الإيهام أ, التورية هو أن يدل لفظ واحد على معنيين أو

اواكثر ولكنه يبدوا كأنه أستعمل لمعنى واحد. هنا تورية فى كلمتين من الشعرالأخير وهما ذنب السرحان والغزالة. ولهما معنيان أحدهما ذنب الذئب معنى حقيقى والثانى النجوم. وللثانى ''الغزالة'' معناه الأصلى أى الظبية والثانى ''الشمس''.

عهد السلاطين الخلجية:

بعد الدولة الغزنوية ظهرت الامارة الغورية التى حكمت عشرين سنة فحسب، ولم تنجب هذه الإمارة شعراء متفوقين إلا العلماء والفقهاء والمتكلمين الذين كانوا متفردين فى مجالاتهم منهم الخواجة معين الدين الجشتى وتلميذه البارز قطب الدين بختيار الكعكى وفخرالدين الرازى. ثم قامت بعدها إمارة سلاطين المماليك التى أسسها قطب الدين ايبك وجعل دلهى عاصمة للحكومة الاسلامية فى الهند فاصبحت دلهى مركزا كبيرا للعلوم الاسلامية. ومن علماء ذلك العصر الشيخ حسن بن محمد الصغانى وكان خبيرا فى علم اللسان والقاضى حميد الدين الناغورى ومحمد بن اسماعيل الذى هاجر إلى دلهى من الخارج.

جاء عهد السلاطين الخلجية بعد هاتين الامارتين اسس هذه الامارة جلال الدين فيروز الخلجى وارتقى عرش المملكة عن عمر يناهز سبع عشرة سنة. كان يقدر العلم ويشرف على العلماء، كان منصفا ومواظبا على الشريعة الإسلامية وعطوفا برعيته وملكا يحب العلم ومن معتقدى نظام الدين اولياء وكان أمير خسرو شاعرا فى

بلاط الملك وحكم هذا الملك الذكى ست سنوات فحسب. لأنه تم إغتياله على يدابن أخيه سنة ٦٩٦ الهجرية اعتلى عرش المملكة السلطان علاء الدين الخلجى الذى كان مدة حكومته عشرين سنة. كان علاء الدين الخلجى أميا ولم يكن راغبا إلى الدراسة ولكن بلاطه كان مكتظا بالعلماء. ونقل الدكتور زبيد أحمد عن ضياء الدين البرنى كلامه 'إن علاء الدين كان أميا لايقرأ ولايكتب ولكنه كان دائما يصادق رجال العلم حتى أننا نجد ضياء الدين البيانوى وظهير لنك والقاضى مغيث الدين.(١٦)

ومن الشعراء البارزين الذين قرضوا أشعارا فى العربية هو أمير خسرو مع أن هذا الشاعر الكبير قد اشتهر بالفارسية.

أمير خسرو:

هو خسرو بن سيف الدين محمود الدهلوى المعروف بأمير خسرو. ولد فى سنة ٦٥١ الهجرية. يعد من أشهر شعراء الفارسية بالهند كما أنه طار صيته فى الشعر العربى. وقد تفرد بالشعر والحكم والموسيقى والبلاغة ولم يكن له مثيل فى فن الموسيقى. وقد أخترع بنفسه زخارف كثيرة منها ''القول'' و ''ترانه'' و ''خيال'' و''نقش'' و "بسيط" وغيرها.

نشأ بدلهى فى أيام السلطان غياث الدين بلبن. وحضر بلاطه وغيره من الملوك والأمراء وحصل على الجوائز والصلات الكثيرة منهم. وقد ترك خلفه مصنفات كثيرة من اشهرها"الاعجاز الخسروى" فيه قصيدة عربية له. وله خمسة دواوين فى الفارسية

منها "تحفة الصغر" و "وسط الحياة" و "غرة الكمال" و "البقية النقية" و "نهاية الكمال" اشتهر أمره عندما كان على قيد الحياة حتى طار صيته إلى أقصى إيران. ونقل السيد عبد الحئ الحسنى عن ضياء الدين البرنى كلامه "إنه كان ملك ملوك الشعراء من السلف إلى الخلف لم يكن له نظير فى اختراع المعانى وكشف الرموز الغريبة وكثرة المصنفات فان كان بعض الشعراء متفردين فى فن أوفنين فانه كان متفردا فى جميع الفنون الشعرية. قال : مع ذلك الفضل والكمال له. كان صوفيا مستقيم الحال. صرف اكثر عمره فى الصيام والقيام والتعبد والتلاوة. وكان صاحب وجد وحالة وماهرا فى علم الموسيقى علما وعملا.(١٧)

توفى أمير خسرو سنة ٧٢٥ الهجرية.

ومن شعره قوله: (١٨)

ذاب الفؤاد وسال من عينى الدم وحكى الدوامع كل ما أنا اكتم

واذا أبحت لدى الورى كرب النو ىٰ تبكى الأحبة والأعادى ترحم

ياعاذل العشاق دعنى باكيا إن السكون على المحب محرم

من بات مثلى فهو يدرى حالتى طول الليالى كيف بات متيّم

ومن شعره ما مدح به السطان علاء الدين الخلجى قوله:(١٩)

فى مهجتى سكنت محبتها كما مدح المليك المستعان الأعظم

اعنى علاء الدين سلطان الورى ملك تولد من سلالة آدم

عين الحيا بل عينه عين الحيا يم الندى بل كفه عين اليم

من جوده الفياض قد يحكى اذا نعب الغراب على رميم الحاتم

ماكان يعطش سيفه بقرابه إلا ويسقى من كؤوس جماجم

رشح لمدحتك العلية خسرو بالشعر ليس كمثله فى العالم

كن بالخلود على الارائك قاعدا فأنا أخصك بالبقـاء الـــدائم

ومن شعراء ذلك العصر الشيخ نصير الدين المعروف بشراغ دلهى (مصباح دلهى) تلميذ الشيخ نظام الدين اولياء. ويمدح استاذه شمس الدين يحيى الأودى. قوله:(٢٠)

سألت العلم من أحياك حقا فقال العلم شمس الدين يحيى

وكلمة يحيى هنا تورية اذا قرئت بضم الياء الأولى.

وانتهت الامارة الخلجية باغتيال قطب الدين مبارك الخلجى ولم تكن فيه مؤهلات لادارة الحكومة.

عهد أسرة تغلق :

بعد ما تم اغتيال مبارك الخلجى تولى منصب الادارة والامارة خسرو خان. و لم يكن رجلا مسلما بل كان هندوكيا. أما إسمه خسرو خان فلم يكن إسما حقيقيا بل انعم عليه قطب الدين مبارك بن علاء الدين الخلجى بهذ اللقب. وكان جل عنايته فى تنمية التقاليد والعادات غير الاسلامية وشمر عن ساقيه لازدارء الاسلام. وقتل كثيرا من الأمراء من الأسرة الخلجية واضطرب الناس وخافوا أن تنتهى الحكومة الاسلامية من الهند حتى اختاروا غازى ملك محافظ ملتان اميره الذى قاتل خسرو خان وهزمه شرهزيمة مع أن جيشه كان كبيرا.

ارتقى عرش المملكة غياث الدين تغلق سنة ٢٢٠ الهجرية كان رجلا كريما ومتدينا وكانت مدة حكومته اربع سنوات, وقام فى هذه الفترة القصيرة بما لم يقم به كثير من السلاطين فى فترة طويلة كان علماء عصره البارزون هم الذين عاشوا فى عصر علاء الدين. بعد وفاته تولى منصب الادارة ابنه محمد تغلق سنة ٧٢٥ الهجرية

إنه كان عالما فقيها وسلطانا ذكيا وخطاطا بارعا وحافظا للقرآن. وكان يشرف على العلم ويقدر العلماء ويعترف جميع الناس بمؤهلاته. وكانت السنوات العشر البدائية من عصره ذات ثروة ورخاء. ولكنه مع ذلك قد الحق ببلاده الضرر اكثر من إفادتها من أعماله الخرقاء. وقد اضطر غيرمرة إلى نسخ الأوامر التى أصدرها بنفسه ويقول ثروت صولت: "إن السنوات العشر البدائية من عصره كانت ذات رخاء وثراء وكانت مملكة دلهى فى اوج رقيها ونقل محمد تغلق العاصمة من دلهى الى دولت آباد سنة ١٢٢٦م لكنه عندما شعر بصعوبات الناس فالغى هذا الأمربعدعشر سنوات فصارت دلهى عاصمة مرة أخرى فى سنة ١٢٣٧م وكذلك تفنن بترويج عملة النحاس فى سنة ١٣٣٠م ولكنه اضطر إلى إبطاله أيضا من أجل الخسران.(٢١)

ومن المحير أن محمد تغلق بنفسه كان عالما ويقدر العلم والعلماء ولكن ازدحام العلماء الذى كان فى عصر علاء الدين الخلجى الأمى لم نره فى عهد محمد تغلق. وسبب ذلك أن مستوى العلم والمعرفة لم يزل كان على انخفاض مع أن محمد تغلق كان يقدر العلوم ولكن عدد البارعين فى عصره لم يكن بمقدار ماكان فى عصر علاء الدين.

ظهرت دول عديدة فى عصره ولايخمد محمد تغلق ثورة إلا تندلع أخرى. خرجت بنغال أولا من نفوذه وفى سنة ١٣٣٥م قامت حكومة اسلامية مستقلة فى جنوب شرق الهند وكذلك تحررت دكن أيضا فى سنة ١٣٣٧م. وفى النهاية كان محمد تغلق مشغولا فى إخماد الثورة بالسند حتى توفى فى سنة ١٣٥١م.

بعد وفاته إعتلى عرش المملكة ابن عمه فيروز شاه تغلق وكان عطوفا برعيته وأطلق سراح الأسرى الذين حبسهم محمد تغلق فى السجن وقدم التعويضات عن الذين قتلهم محمد تغلق إلى ذويهم ورد الممتلكات إلى أصحابها وكان يستنكر

الدماء. وعليه لم يحاول أن يضم إلى دلهى تلك الولايات التى خرجت فى زمن محمد تغلق. كانت حكومته ذات رخاء وهناء ة العيش. ومن علماء ذلك العصر الذين يستحقون الذكر هم مجدد الدين الفيروز آبادى ومولانا أحمد التانيسرى والقاضى شهاب الدين الدولت آبادى والقاضى عبد المقتدر الكندى. كان مولانا أحمد التانيسرى وعبد المقتدر الكندى شاعر ين بالعربية. نظم أحمد التانيسرى القصيدة الدالية التى ذاعت سمعته وأما عبدالمقتدر الكندى فكتب القصيدة اللامية ردا فى لامية العجم.

القاضى عبد المقتدر الكندى:

هو الشيخ الإمام العالم الكبير العلامة عبد المقتدر بن محمود بن سليمان الشريحى الكندى بن القاضى ركن الدين الكندى الدهلوى. ولد ببلدة تانيسر ونشأ وترعرع بدلهى. أخذ العربية وسمع الكثير وبرع فى الأدب والإنشاء وقرض الشعر ولازم الشيخ شمس الدين محمد بن يحيى الأودى وقرأ عليه الكتب الدرسية. وقرأ الكشاف والبزدوى على الشيخ نصير الدين محمود بن يحيى الأودى.(٢٢) وكان يتردد فى أيام تحصيله إلى الشيخ نصير الدين محمود المذكور ويذكر المطالب العلمية عنده.

عندما فرغ من الدراسة أخذ الطريقة عن الشيخ نصير الدين وعاش حياته فى الدرس والتدريس. كان من الشعراء المفلقين وله قصيدة لامية أنشأها فى تقليد لامية العجم. مطلعها:

يا سائق الظعن فى الأسحار والأصل سلِّم على دار سلمى وابك ثم سل

ويرى الدكتور زبيد أحمد أن هذه القصيدة مليئة بالمحسنات البديعية وفى الشعر

الأول محسنات كما تلى:

١- جناس بالزيادة بين سلم، سلمى، وبين سلم وسل.

٢- مراعاة النظير.

٣- صنعة الاشتقاق بين سلم وسلمى.

٤- المقابلة أو التضاد بين الأسحار والأصل.(٢٣)

وقال عبد المقتدر الكندى هذه القصيدة فى مدح النبى ﷺ. وتحتوى هذه القصيدة على ٤٩ بيتا. ولكن الباحث البارز مولانا امتياز على خان العرش قد بحث عن ٩١ بيتا من هذه القصيدة. بعدما حققها وشرحها قد نشرها فى ثقافة الهند تصدر من دلهى فى عدد سبتمبر ١٩٥٠م. (٢٤) ومن قصيدته قوله:

ياأيها الطفل انت الطفل فى أمل	وشمس عمرك قد مالت الى الطفل
فاقنع من بالأدنى تكن ملكا	ان القناعة كنز عنك لم يزل
ولاتكن لمزيد من الرزق مضطربا	واقنع بما قسم القسام فى الأزل
يايها الناس ان العمر فى سفر	وان اوقاتكم، والله، كالظلل(٢٥)

هذه الأشعار من قصيدته تذكرنا بقصيدة زهير بن سلمى[١]، ثم يمدح النبى ﷺ.

محمد خير خلق الله قاطبة	هوالذى جل عن مثل وعن مثل
له المزايا بلانقص ولا شبه	له العطايا بلامن ولا بدل
أتيتنا بكتاب جل منفعة	وجئتنا بسبيل ناسخ السبل
رسل الإله عيون فى خليقته	وأنت فيها بعون الله كالكحل(٢٦)

الشيخ أحمد بن محمد التانيسرى:

ولدالشيخ أحمد بن محمد التانيسرى بدلهى ونشأبها . قرأ على القاضى عبد

المقتدر الكندى صاحب" لامية الهند" حتى برع فى القفه والأصول واللغة العربية .وكان شاعرامجيدا سمع الأمير تيمور لنك عن علمه فأراد أن يذهب به معه ولكنه رفض. وقال عبد الحى الحسنى :" انه خرج من دلهى فى فتنة الامير تيمور سنة ٨٠١هـ وكان الامير يريد ان يستصحبه الى سمرقند فأبى وخرج إلى كالبى وسكن بها.(٢٧)

قال أحمد التانيسرى قصيدة بديعة فى مدح النبىﷺ اشتهرت هذه القصيدة بـ "القصيدة الدالية" مطلعها:

أطار لبى حنين الطائر الغـــرد وهاج لوعة قلبى التائه الكمد

ومن شعره فى مدح النبىﷺ قوله:(٢٨)

وليس فـــى الدين والدنيا وآخرتى سوى جناب رسول الله معتمدى

العـــــدل سيرته والفضـــل طينته والبذل شيمته فـــى الوجد والوبد

أفد لك بالروح والقلب المشوق معا والنفس والمال والأهلين والولد

يارب صـــل وســـــلم دائما أبدا علـــى النبى نبى الحق والـرشد

محمد أحمد الهادى لأمته إلى الصـــراط صراط غير ملتحد

DISS
928.1044-95N 28P01

المراجع:

(١) نزهة الخواطر: السيد عبدالحئ الحسنى. ج/١. ص. ٥٣

(٢)نزهة الخواطر: السيد عبدالحئ الحسنى. ج/١. ص. ٥٢

(٣)عربى ادب مين' هندوستان كا حصه: شمس تبريزخان. ص.٦٩

(٤)نزهة الخواطر: السيد عبدالحئ الحسنى. ج/١. ص. ٧٣

(٥)نزهة الخواطر: السيد عبدالحئ الحسنى. ج/١. ص. ٧٣

(٦)نزهة الخواطر: السيد عبدالحئ الحسنى. ج/١. ص. ٧٥

TH-9016
Jawaharlal Nehru University Library

(٧)آب كوثر: شيخ محمد اكرام.ص٦٤

(٨) تاريخ ادبيات مسلمانان باك وهندوستان: الصديقى. ص ٦٧

(٩)عربى ادب مين هندوستان كا حصه: شمس تبريز خان. ص٧٤

(١٠)نزهة الخواطر: السيد عبدالحئ الحسنى. ج/١. ص. ٦٥

(١١).The contribution of India to Arabic literature : Zubaid Ahmad . p. 237

(١٢) الثقافة الاسلامية فى الهند: عبد الحئ الحسنى. ص ٤٤

(١٣)نزهة الخواطر: السيد عبدالحئ الحسنى. ج/١. ص. ٨٩

(١٤)The contribution of India to Arabic literature : Zubaid Ahmad . p.238

(١٥) سبحة المرجان: غلام على آزاد البلغرامى. ص ٦٩

(١٦)The contribution of India to Arabic literature : Zubaid Ahmad . p.30

(١٧) نزهة الخواطر: السيد عبدالحئ الحسنى. ج/١. ص. ٤١ - ٤٢

(١٨) نزهة الخواطر: والثقافة الاسلامية فى الهند: السيد عبدالحئ الحسنى. ج/١. ص.٤٢ - و ٤٤ على الترتيب.

(١٩)The contribution of India to Arabic literature : Zubaid Ahmad . p.239-40

(٢٠) سبحة المرجان: غلام على آزاد البلغرامى. ص ٢٠

(٢١) ملت اسلامية كى مختصر تاريخ: ثروت صولت. ص ١٥٢

(٢٢)نزهة الخواطر: السيد عبدالحئ الحسنى. ج/٣. ص. ٧٣/٢

(٢٣).The contribution of India to Arabic literature : Zubaid Ahmad . p.241

(٢٤) عربى ادب مين هندوستان كان حصه: شمس تبريز خان. ص ١٩٦

(٢٥)عربى ادب مين هندوستان كا حصه شمس تبريز خان ص ١٩٧

(٢٦) نفس المصدر: ص ١٩٨

(٢٧) نزهة الخواطر: السيد عبدالحئ الحسنى. ج/٣. ص. ٨

(٢٨) نفس المصدر: ص ٩/٣

الفصل الثانى

فى

الشعر العربى فى عهد مغول

قد ذكرت فى الفصل السابق أن السلطان ابراهيم اللودى كان أميرا آخرا لعهد الأسرة اللودية ، مع ذالك كان متصفا بمحاسن حميدة أصبح عريضة لمستشار يه الكاذبين الذين أساء وا ظنه باعضاء دولته ، هذا هو الذى أدى الى دعوة بابر الى الهند ، ويقول الشيخ محمد اكرام "جاء بابر الى الهند ملبيا نداء بعض أمراء الهند الذين كانوا مضطربين من تصرفات ابراهيم اللودى ، وبعد أن هزمه فى معركة بانى بت سنة ١٥٢٦م استولى على دلهى .(١)

بـــابـر:

أسس السلطان ظهير الدين بابر الدولة المغولية .هذا الجبار الذى هو سليل جنكيز خان وتيمور لنك ارتقى عرش الامارة بمدينة فرغانه عن عمر يناهز إحدى عشرة سنة ، عندما كان فى الثانى عشر من عمره توفى ابوه وأحاط به أعداء ه من كل أطراف ولم تكن هذه الأعداء إلا أعمامه وأخواله الذين يرغبون فى الاستيلاء على فرغانه وقد حاول محمد بابر غير مرة أن يسيطر على سمر قند لكنه خاب فى سعيه فى المرة الاولى سنة ٩٠١ هـ لكنه ظفر بالسيطرة عليها سنة ٩٠٢هـ واستغرقت هذه السيطرة مأة يوم فحسب لانه اضطر الى مغادرة سمر قند من أجل الثورة بها ، ولكنه لم تضعف قواه حتى استولى على سمر قند مرة اخرى سنة ٩٠٦هـ ولكن هذا الظفر أيضا كان مؤقتا كان يتخبط حتى فتخ كابل سنة ٩١٠هـ وأقام دولة قوية هنا وحكم عليها ست عشرة سنة .

كان ظهير الدين محمد بابر كريما جوادا مؤاسيا وعادلا .وكان أميرالسيف والقلم معا وقد أظهر هذا جيدا فيما كتب.كان بابر اديبا رقيقا وكاتبا قديرا .كتب

سيرته الذاتية "تزك بابرى" التى تسمى بـ "بابر نامه " وهى تعد من عمله العبقرى الذى يدل على اسلوبه البديع .يقول الدكتور غوستاف لوبون " فعدت مذاكرت بابر التى شبهت بتفاسير يوليوس قيصر نموذجا حسنا فى الآداب.ومن هذه المذكرات نعلم جمع المغولى بين الوحشية والمدنية علما احسن مما فى جميع كتب المؤرخين (٢) وقد نقلت سيرته الذاتية هذه الى عدة لغات عالمية.

لم يكن بابر قائد الجيش اللائق فحسب بل كان مع جبروته شاعرا مجيدا ، وقد عبر عما كان يخالج فى صدره من المشاعر والأحاسيس فى اللغتين الفارسية والتركية وكان يعد من الشعراء العباقرة .ويقال"انه لم يكن له كفو فى قرض الشعر التركى الا أمير على شير بيغ النوائى "ويقول المورخ فرشته "لم يكن له مثيل فى علم الموسيقى والشعر والإنشاء.(٣)

كان بابر هذا يتكلم المغولية والعربية والفارسيةوكان له إلمام باللغة الهندية .وقد ترك له ديوانا فى التركية والفارسيةايضا ، وتوفى ظهير الدين محمد بابر سنة ١٥٣٠م وتولى عرش المملكة ابنه همايون .

همايون :

عندما جلس همايون على عرش المملكة لم يكن يبلغ من عمره الا ثلاثين سنة .كان كريما صالحا ورحيما مثل أبيه .كان فيه ذوق لطيف يرغب الى الأشعار ربما كان يقرض الأشعار فى اوقات الفراغ ويروى أنه قد رتب ديوانا كاملا ونقل الدكتور شبير أحمد القادرآبادى عن صباح الدين عبدالرحمان كلامه أن السيد حسن العسكرى استاذ التاريخ فى كلية "بتنه" قد بحث عن هذا الديوان وأصدره من بتنه وكتب له الحافظ شمس الدين أحمد .(٤)

واشترك همايون مع أبيه فى معظم المعارك منها معركة بانى بت وفتح آغره .ولكنه مع ذلك كان كسولا متساهلا ولم يتغلب على الجيش وقواده كليا كما تغلب عليهم ابوه بابر حتى غز ا شير شاه السورى على دلهى سنة ١٥٤٠ م وفتحها بعد أن هزم السورى همايون ولكن مدة دولتهم كانت خمس عشرة سنة حتى استرد همايون حكومته المفقودةمن الأسرة السورية فى سنة ١٥٥٥م.وتوفى بعد سنة واحدة .

جلال الدين محمد اكبر:

ولد محمد اكبر سنة ١٥٤٢م وكان هذا عصر الاضطراب والقلق لأن السلطان شير شاه السورى قد هزم اباه همايون قبل ولادته بسنتين وكان همايون يتخبط من هنا الى هنا .

ارتقى جلال الدين محمد اكبر العرش سنة ١٥٥٦م عن عمر يناهز اربع عشرة سنة من أجل حداثة سنه تولى ادارة المملكة مربيه الوفى المخلص السيد بيرم خان عند ما تولى زمام أمور المملكة بيده سنة ١٥٦٠م تدعمت حكومته حتى انه قدر على القيام بالاجرا ء ات العسكرية ضد الحكومات الاقليمية .حكم اكبر خمسين سنة ،مع أن اكبر كان أميا ولكنه قد دبر أمور مملكته حيث أنه حير الناس .وأقام دولة كبيرة كانت تساوى مملكة دلهى من حيث المساحة .

كان أكبر أميا مع ذلك كان يشرف على العلم والمعرفة وقد أنجبت الهند علماء عظاما فى عهده ،منهم المجدد الف ثانى وعبدالحق ولم تكن لهم أية صلة بالبلاط وعمل هولاء العلماء دون أيه رعاية الملك كما فعل الامام ابو حنيفة والامام الشافعى فى العصرالعباسى والامام الغزالى وعبد القادر الجيلانى وابن الجوزى فى عهد السلجوق وابن تيمية فى عصر مملوكى مصرْ(٥)

من شعراء عصره الفيضى المعروف بملك الشعراء نذكره فيما بعد.

سليم جهانكير:

بعد ماتوفى اكبر اعتلى عرش المملكة إبنه نورالدين جهانكير إنه قد ورث حسن التدبير عن أبيه ومذاق العلم والأدب عن جده. نشأ فى مهد العلم والمعرفة. كان له ذوق لطيف وخيال بديع واسلوب رائع عند ما بلغ من عمره اربع سنوات وأربعة أشهر واربعة ايام أدخله ابوه فى المكتب كان معلموه بارعين حتى ابلغته عنايتهم الفائقة به إلى أوج العلم والأدب.

كان جهانكير كاتبا رفيعا واديبا متوقدا بالاضافة إلى كونه شاعرا مجيدا ونقادا حاد الذهن. وله مقدرة كاملة فى الغزل واستعمال الالفاظ الملائمة. ولم يكن يتحمل مذاقه الأدبى الالفاظ الثقيلة والتعبيرات الفاحشة وعمله العبقرى كتاب له بالفارسية يسمى بـ "تزك جهانكيرى" كتبه على منوال بابر. وهو سيرته الذاتية . توفى جهانكير سنه ١٦٢٧م.

شاه جهان :

بعدماتوفى جهانكير ارتقى عرش المملكة إبنه شاه جهان سنة ١٦٢٧م. إنه كان يعرف اللغات العربية والفارسية والتركية والهندية.(٦) ولكنه لم يكن مولعا بالعلم والدراية كما كان بابر وهمايون وجهانكير. بل كان راغبا إلى الانشاء والتشييد فلهذا نرى أنه لم يترك آثارا ادبية بل ترك آثارا بنائية كالمسجد الجامع والقلعة الحمراء بدلهى والتاج محل بآغرة. وقال بضعة أبيات من الشعر وهى موجودة فى "عمل صالح" لمحمد صالح كنبوه و "بادشاه نامه" لعبد الحميد اللاهورى ولكن هذه الأشعار بسيطة وساذجة.(٧)

كان شاه جهان بنفسه رجلا مثقفا وكان عصره عصررخاء وغناء وقد اعتنى الى المباحث العلمية بالاضافة الى الانتصارات الوطنية وقد أشرف على العلماء وقدر العلم تقديرا حتى تفوق على ابيه جهانكير وجده اكبر . حضر مرة بلاطه سفير ملك ايران وكان عالما أعمى وبرع فى العلوم النقلية والعقلية . وقعت مناظرة بينه وبين علماء البلاط وهزمهم وقد أساء ت هذه الهزيمة الملك وتشاور وزيره فى هذا الصدد .انه أشار على الملك أن يدعو الملامحمود الجونفورى جاء محمود ولقى السفير فى البلاط وناظره فى" هيولى "حتى أعجز ه بدلائله القوية فأعجب الملك بمحمود الجونفورى وتصدق عليه بالذهب والفضة وارسل ابنه محمد شجاع اليه للحصول على العلم.(٨)

ومن علماء عصره عبدالكريم السيالكوتى وعبد السلام اللاهورى والملا محمود الجونفورى. توفى شاه جهان سنة ١٦٥٧م.

اورنك زيب :

قد ارتقى العرش محى الدين اورنك زيب بعدأبيه شاه جهان سنة ١٦٥٧م. وهو أمير عظيم من الأمراء المغوليين فى الهند. كان يتصف بصفات حميدةو مؤهلات عديدة. إنه كان كريما فطينا وشجاعا من حداثة سنه وربّاه ذووه أحسن تربية. كان مولعا بالمطالغة وكان يطالع "إحياء العلوم" للغزالى وأشعار شرف الدين يحيى المنيرى ورسائل الشيخ زين الدين وقطب الدين محى الدين الشيرازى. وكذلك كان اورنك زيب يدرس كتب التفسير والحديث والفقه. وكان له مقدرة كاملة فى الكتابة والإنشاء والتخطيط. قدبرع فى اللغتين العربية والفارسية وكان يعرف اللغة الهندية واللغة التركية.

ومن العجب أنه لم يكن فى بلاطه شاعر خاص به ولم يشجع الشعر والأشعار. مع أنه كان له مذاق لطيف فى الشعر وكان يزين كتاباته بالأشعار البليغة حينا بعد حين كان يدرس دواوين السعدى والحافظ والفانى الكاشميرى على وجه خاص وكان يحفظ الأشعار عن ظهر قلبه. قدم إليه بخشى الممالك مخلص خان ديوان الصائب كان فيه مأة الف شعر وقد تمتع اورنك زيب بقراء ة الأشعار التى كانت تتناول التصوف.(٩)

عصر عالمكير جدير بالذكر بحيث أنه كان فيه شعراء كانوا يقرضون أشعارهم فى اللغة العربية منهم الشيخ أحمد المعروف بملا جيون الذى كان شاعرا مجيدا وقال قصيدة طويلة تحتوى على ٢٢٠ بيتا على منوال قصيدة البردة. عندما وصل الجدة لأداء فريضة الحج كتب شرح تلك القصيدة. وخلال إقامته بالحجاز كتب ٢٩ قصيدة أخرى ونال تشجيعا وإستحسانا من علماء مكة والمدينة المنورة.(١٠)

والشاعر الثانى من عصره فى العربية الشيخ غلام نقش بندى اللكنوى له قصيدة غراء بالعربية اذكره فى مكانه إنشاء الله.

هذه خلفية سياسية وعلمية لسيادة المغول فى الهند. وسيادتهم فى الهند تمتد حتى سقوطها فى ايدى الإنجليز سنة ١٨٥٧م. وكانت السيادة عندئذ فى يد بهادر شاه ظفر. ولكننى أنا أكتفى ببداية السيادة المغولية حتى عصر اورنك زيب لأن هذا العصر المذكور كان عصر الإزدهار لا فى السياسة والسيادة فحسب بل فى العلم والمعرفة والأدب أيضا.

يحلو لى أن القى نظرة خاطفة على اللغة الرائجة فى هذالعصر. إن كتب التاريخ تخبرنا بأن اللغة الرسمية كانت لغة فارسية. وكان الشعراء يعبرون عما كان يخالج فى قلوبهم من مشاعر وأحاسيس فى الفارسية والكتاب كانوا يؤدون مطالبهم بالكتابة

فى هذه اللغة. وظهرت كتب لايستهان بها للتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والتاريخ والسير فى الفارسية حتى عامة الناس كانت تتكلم وتتحدث بالفارسية ولهذا نرى أن الكتب التى ظهرت على حيز الوجود فى هذا العصر كان معظمها فى الفارسية. سبب ذلك أن الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون البلاد كانت لغتهم اللغة الفارسية. وعناية الملوك والأمراء بأية لغة ينطقها ويستعملها كأداة الابلاغ والتبليغ تساعد فى ازدهارها وتطورها. ولاشك فى أن اللغة الرسمية عندئذ كانت لغة فارسية ولكن الأمراء المغوليين مع ذلك لم يعاملوا اللغة العربية معاملة سيئة. وله أسباب:

السبب الأول: هو أن معظمهم كانوا يلمون باللغة العربية فاشرفوا عليها وقدروها أحسن تقدير حتى جلب بعضهم العلماء والشعراء إلى بلاطهم. ويقول الدكتور غوستاف لوبون "وسارالمغول على غرار المسلمين الآخرين فأداموا حضارة هؤلاء محبين للآداب والعلوم والفنون حبا حما' فرحبوا بالشعراء والعلماء ورجال الفن مهما كان جنسيتهم. ولم تكن العلوم دون الفنون خطوة فى دولتهم فأنشأوا المدارس وأقاموا المراصد.وحب المغول لعلم الفلك ورثوه كابرا عن كابر. فقد جلب خان المغول هلاكوا إلى بلاطه أشهر علماء العرب وأقام فى مراغة مرصدا كبيرا سنة ١٢٥٩م. (١١)

والسبب الثانى: هو أن شجيرة اللغة العربية التى غرسها التجار العرب فى الهند وسقاها محمد بن قاسم الثقفى وقواده قد أصبح شجرا قويا على مرالسنين وجعل هذا الشجر القوى يثمر ثمارا شهية فى عهد السلاطين وعهد الملوك المغوليين ولم يذبل هذا الشجر الخضر حتى فى عهد الاستعمار البريطانى.

والسبب الثالث: هو أن اللغة العربية لغة الدين ولغة القرآن والحديث. وتم كتابة معظم

الكتب للتفسير والحديث والفقة وفروعهما فى العربية وعليه أضطر المسلمون إلى دراسة العربية وتعلمها. واستقبلها المسلمون ورحبوا بها حيث وصلت. هؤلاء السلاطين والملوك المغوليين كانوا مسلمين فتعلموا العربية وأتقنوا فيها بالاضافةإلى تقديرها والإشراف عليها. فلهذا نجد أن الهند قد انجبت علماء وشعراء بارزين لامثيل لهم منذ دخلت العربية الهند وظهر عدد كبير من الشعراء فى عصر المغول. منهم:

أبو الفيض بن المبارك الناغورى:

هو الشيخ ابو الفيض الفيضى بن المبارك الناغورى. ولد بمدينة آغره سنة ١٥٤٧م كان له ذهن خصب وفرغ من الدراسة عن عمر يناهز اربع عشرة سنة. قرأ العلم على والده وأخذ بعض الفنون العربية عن الشيخ حسين المروزى. ثم أقبل على قرض الشعر اقبالا كليا. وخاض كثيرا فى الحكمة والعربية.(١٢) ولم يكن له مثيل فى الشعر والعروض والقافية واللغة والتاريخ واللغز والانشاء والطب.(١٣)

وقد ترك له مصنفات عديدة تدل على مقدرته الكاملة على العلوم الأدبية. منها "موارد الكلم" الغير المنقوط فى الأخلاق وترجمة ليلاوتى فى الحساب والمساحة وأشهر مصنفاته "سواطع الالهام" فى تفسير القرآن وهو أيضا غير منقوط.

قال الشيخ عبد الخالق بن سيف الدين الدهلوى فى كتابه' فى أخبار الشعراء:' إنه كان ممن تفرد فى عصره بالفصاحة والبلاغة والمتانة والرصانة ولكنه لوقوعه وهبوطه فى هاوية الكفر والضلالة أثبت على جبينه نقوش الرد والانكار والإدبار لذلك يستنكف أهل الدين والملة وأحباء النبى صلى الله عليه وسلم.(١٤)

توفى سنة ١٥٩٩م ومن شعره قوله فى مدح الملك محمد أكبر.(١٥)

صاح صاح الحمام حول كمام　　دور ورد أرد صواع مدام

لاح دار الحمل وحال الحول　　دار كأس المدام رأس الآكام

وهو وال محمد إسمه　　طول الله عمره وأدام

ملك العصر إسمه الأسعد　　مع إسم المصور العلام

واسع العلم مكرم العلماء　　مسعد العلم ومصعد الإسلام

عامر الملك آمر العالم　　ساعد العدل صاعد الاعلام

الشيخ غلام نقشبندى:

هو الشيخ غلام نقشبند بن عطاء الله بن حبيب الله بن أحمد بن ضياء الدين اللكنوى. ولد سنة ١٠٥١ هـ بقرية "غوسى" تلمذ على مير محمد شفيع بن محمد مقيم الدهلوى وفرغ من الأخذ والقراءة فى الثامنة عشر من عمره. وقرأ على الشيخ بير محمد اللكنوى 'القدورى' وشطرا من البيضاوى. عندما بلغ إحدى وعشرين سنة من عمره قرأ فاتحة الفراغ. وكان الشيخ غلام نقشبند من كبار الأساتذة لم يكن فى زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها متوفرا على علوم الحكمة.(١٦)

وله تفسير القرآن المسمى بالأنوار وفرقان الأنوار واللامعة العرشية فى مسألة وحدة الوجود. وله شرح القصيدة الخزرجية فى العروض والقافية وقصائد غراء بالعربية. من شعره قوله فى مدح شيخه مير محمد شفيع. مطلعها:(١٧)

خليلى هل هاتان دارة جلجل　　ودارة سلمى فى قفاف عقنقل

عليها سوارى المزن سحت مطيرة　　فمحت مبانيها محوح المهلهل

أمنزل سلمى هل تفرج غمتى　　وتكشف عما ظعن ذات التدلل

فمنذ غداة البين قد بتُّ فى الهوى　　بصدر جوى أو بقلب مقتل

إنه قد قال هذه القصيدة على غرار الشعراء الجاهليين. بدأ القصيدة بالتشبيب ثم يتخلص إلى غرضه الأصلى وهو مدح شيخه. فيقول:(١٨)

معارفه جلت معاليه قد علت　　أشم جبال بالفخم مفضل

لديه علوم لا يرام فنائها　　وأسرار لوح فى الأسارير تجتلى

ولم يؤثر الدنيا الدنى نعيمها　　وينعم عند الله أحسن مفضل

شفيعى ليوم الحشر حرزى وموئلى　　ووجهة قلبى غوث كل موملى

لكل عصام واعتصامى بفضله　　كفانى قواما ذات يوم التجلجل

يطوف حواليه المكارم والعلى　　طواف حجيج حول بيت مبجل.

سيد عبد الجليل البلغرامى:

إنه قد عاش فى عصر الملك المغولى اورنك زيب وقد قال هذا الشاعر أشعارا جيدة فى اربع لغات وهى العربية والفارسية والتركية والهندية. ويقول عنه إبن معصوم فى كتابه "سلافة العصر" إنه لم ير فى الهند نظيرا له(١٩) يتكلم غلام على آزاد البلغرامى الملقب بـ "حسان الهند" على شعره فيجعله فى درجة عالية.(٢٠) ويقول الدكتور زبيد أحمد "إن عبد الجليل كان خبيرا فى شعر التاريخ الجملى.(٢١)

نموذج من تاريخياته الذى نظمه عندما فتح الامبراطور اورنغ زيب قلعة "ستارة" فيقول:

لما توجه السلطان الأنام إلى　　رب السمٰوات فى تأييد إسلام

أقر إبهامه فى أصل خنصره　　لورد يا قادر أفتاح أكمام

فصار حين إفتتاح الإسم مفتتحا　　حصنا لمن عبدوا أحجار أصنام

نظرت فى الفات وهى اربعة　　من فوق إبهام من غير إبهام

لله تلك يد بيضاء قد بزغت للناظرين فيا للمعجز السامى

هذا البديع من التاريخ أنشأه عبد الجليل بتاييدات إلهام

قال السيد عبد الجليل البلغرامى هذه الأبيات عندما فتح اورنغ زيب قلعة ستارة سنة ١١١١هـ يقول إن الملك يسبح ويحصى تسبيحته وعند إحصاء التسبيح يضع أعلى إبهامه على خنصره من نفس اليد وترتفع أصابعه الأربعة على شكل ١١١١ وهذا يدل على رقم السنة التى فتح عالمغير فيها القلعة. والإبهام راقد كخط أفقى صغير يكتب عادة فى موضع السنة.(٢٢)

كانت اللغة والأنساب وأيام العرب والشعر على طرف لسانه وله أبيات معدودة بالعربية لاتخلو عن الرقة. من شعره قوله:(٢٣)

هو القطب إلا أنه البدر طالعا سوى أنه المريخ لكنه السعد

وقد ذكر الوطواط أن بديع الزمان الهمدانى قال:

هو البدر إلا أنه البحر زاخرا سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

فلم يتمكن أحد من الشعراء العرب والهنود من الإتيان بمثله حتى جاء السيد عبد الجليل وقال هذا الشعرالمذكور.(٢٤)

ومن أشعاره قوله:(٢٥)

حبيبى قوس حاجبه كنون وصاد يدين مقلة شكل عينه

لعمرى أنه نص جلى على أن الرماية حق عينه

المراجع :

(١) رود كوثر : الشيخ محمد اكرام ص ٢١

(٢) حضارات الهند : الدكتور غوستاف لوبون ، تعريب : عادل زعتير ص ٤٣٥

(٣) تاريخ فرشته : **محمد قاسم** جـ ١ ص ١١١

(٤) عربی زبان وادب مغلیه عهد مین : شبیر أحمد القادرآبادی ص ٦٦

(٥) ملت اسلامیه کی مختصر تاریخ : ثروت صولت جـ ٢ ص ٢٨

(٦) بزم تیموریه : صباح الدین عبدالرحمٰن ص ١٧٠

(٧) عربی زبان وادب مغلیه عهد مین : شبیر أحمد القادرآبادی ص ١٨٦

(٨) هندوستان کی سلاطین اور امراء : صباح الدین عبدالرحمٰن ص ٢٧

(٩) بزم تیموریه : صباح الدین عبدالرحمٰن ص ٢٦٠

(١٠) نزهة الخواطر : السید عبد الحئ الحسنی جـ ٦ ص ١٩

(١١) حضارات الهند : الدکتور غوستاف لوبون ،

تعریب : عادل زعتیر ص ٤٣٤

(١٢) نزهة الخواطر : السید عبد الحئ الحسنی جـ ٥ ص ٣١

(١٣) نفس المصدر ، ایضاً : تذکرہ علماء هند : رحمٰن علی ص ٧٧

(١٤) نزهة الخواطر : السید عبد الحئ الحسنی جـ ٥ ص ٣١

(١٥) نفس المصدر: ..... جـ٥ ص ٣٣

(١٦) نفس المصدر: ..... جـ ٨ ص ٢٢٠

(١٧) نفس المصدر: ..... جـ٦ ص ٢٢١

(١٨) نفس المصدر: ..... جـ ٦ ص ٢٢١-٢٢٢

(١٩) سبحة المرجان : غلام علی آزاد البلغرامی ص ٨٠

(٢٠) نفس المصدر: ص ٨٠

(٢١) The contribution of India to Arabic literature : Zubaid Ahmad. p 244.

(٢٢) المصدر السابق

(٢٣) الثقافة الاسلامیة فی الهند : السید عبد الحئ الحسنی ص ٤٥

(٢٤) The contribution of India to Arabic literature : Zubaid Ahmad. p 244.

(٢٥) نزهة الخواطر : السید عبد الحئ الحسنی ص ١٤٧

الفصل الثالث

في

الشعر العربي في العصر البريطاني

كان بهادر شاه ظفر ملكا آخرا من الامبراطورية المغولية الذى استولى العرش ١٨٣٧م ولم تكن حكومته إلا فى داخل القلعة الحمراء وكان يحصل على راتب التقاعد من قبل الأنجليز. عندما أثارت الكتيبة الهندية من الجيش البريطانى سنة ١٨٥٧م ارادت أن تسلم قيادة حرب الاستقلال إلى بهادر شاه ظفر ولكنه لم يقدر على أن يقوم بهذه المهمة الجبارة حتى فشلت حرب الاستقلال واعتقل الانجليز بهادر شاه ظفر ونفاه إلى رنغون سنة ١٨٥٨م.(١)

سقطت الإمبراطورية المغولية عقب ثورة ١٨٥٧م وسيطر البريطانيون سيطرة كاملة على البلاد. كان ذلك صدمة للمسلمين كما كان صدمة للهنود الأخرين الذين حاربوا ليهزموا البريطانيين دون جدوى. عندما تملس زمام السيادة من أيدى المسلمين كاملا فى سنة ١٨٥٧م وفترت همتهم سياسيا واقتصاديا فجعلوا يركزون مؤهلاتهم وإستعداداتهم كلها لإبقاء الدين الحنيف وانقاذ الثقافة الاسلامية من مخالب المستعمرين وتدعيمهما لأنهم كانوا يزعمون أنهم لو تم انهزامهم فى هذه المعركة الهامة فيصيروا عرضة للارتدادين العقلى والعلمى فلن يبقى أحد من المسلمين فى الهند وتمحو أسماء هم وتندرس آثارهم منها للأبد. هذه الانطباعات والملاحظات أدت إلى إقامة دارالعلوم بديوبند وندوة العلماء بلكناؤ ومظاهر العلوم بسهارنفور.

ومن المعلوم أن الإحتلال البريطانى بالهند لم يكن إحتلالا سياسيا فحسب بل كان إحتلالا ثقافيا أيضا لأن الانجليز بعد ما سيطروا على الهند وجهوا جل عنايتهم إلى نشر الدين المسيحى وتوسيع ثقافته وترويجها. وحاولوا أن يغلقوا مراكز المسلمين الدينية والمعاهد الثقافية المنتشرة فى أنحاء البلاد لأن البريطانيين كانوا

يعتقدون أن هذه المراكز والمدارس الدينية ستلعب دورا بارزا فى ترويج الثقافة الاسلامية والدين الحنيف وتحول هذه المدارس بين ترويج الثقافة المسيحية. يقول الدكتور زبير أحمد الفاروقى "إن الغزو الإنكليزى للهند لم يكن غزوا سياسيا فقط وإنما كان غزوا ثقافيا أيضا يستهدف التقاليد القومية الهندية بوجه عام والتراث الثقافى الدينى الاسلامى بوجه خاص وذلك تمهيدا لغرس الثقافة المسيحية ونشرها وترويجها بين سكان هذه البلاد. فبعد قيام الحكم البريطانى أغلقت المعاهد التعليمية للمسلمين فى دلهى ولاهور وآغره وجونفور وغيرها من المدن فى غوجرات وبيهار ومدراس وبنغال.(٢)

الواقع أن العصر فيما بين سنة ١٨٥٧م و ١٩٤٧م كان عصرالاضطراب والقلق للمسلمين عامة وللعلماء والمفكرين العقلاء خاصة. لأن العلوم الدينية فى هذا العصر كانت فى أخطار من أجل نشاطات المستعمرين ضد الاسلام والمسلمين وعلى حد قول الدكتور زبير أحمد الفاروقى "حالة العلوم العربية والاسلامية وعلماء ها فى عصر الحكم الانكليزى بدأت تتدهور بصفة منذرة بالسوء من جراء الخطة التعليمية التى وضعها المستعمرون للقضاء على روح الدين الاسلامى الحنيف إنطلاقا من شعورهم بأنها تجسد أكبر قوة صامدة تعترض سبيلهم لاستعباد الشعب الهندى واستغلاله جسدا وروحا وذلك عن طريق إبادة تراثه الثقافى والعلمى والأخلاقى.(٣)

ولكننا مع كل هذه المعوقات والإضطرابات نرى أن الانتاجات العلمية والأدبية فى العربية لن تقل مما كان قبل ثورة سنة ١٨٥٧م بل عصر الإحتلال يتقدم فى بعض المجالات. وتم القيام بالأعمال الجبارة الممتازة فى فنون التفسير والحديث والفقة فى هذ العصر. أما اللغة العربية فأنجبت الهند أدباء وشعراء بارزين طار صيتهم لا فى داخل الهند فحسب بل فى خارجها أيضا وعلى رأسهم السيد أبوالحسن

الندوى والنواب صديق حسن خان وغيرهما الذين كتبوا مصنفات عديدة فى جميع المجالات من العلم. ويقول الدكتور . زبير أحمد الفاروقى: "أما فيما يتعلق بعصر الانكليز الذين حكموا الهند لمدة تزيد من قرن واحد فهو أيضا لايخلو من العلماء الأفذاذ ذوى الغيرة على التراث الثقافى الاسلامى الذين قاموا بدور كبير فى الحفاظ على العلوم الاسلامية ولغتها العربية ومازالوا يجهدون فى سبيل نشرها على الرغم من إهمال الحكام الانكليز المستعمرين تجاه هذه العلوم والمتضلعين بها.(٤)

مع أن هذا العصر لم يكن ملائما للعلوم الاسلامية والعربية قد ظهر فيه شعراء متفوقون بالعربية إلى جانب علماء فائقين فى الهند. قد ترك بعضهم ديوانا أو أكثر خلفهم أو ترك بعضهم قصيدة أو قصائد لهم. الآن اذكر بعض الشعراء من هذا العصر مع بعض النماذج من أشعارهم كى يتضح علينا أسلوبهم وموضوعات أشعارهم.

السيد محمد مهدى المصطفى آبادى:

هو الشيخ الفاضل محمد مهدى بن نوروز على الحسينى. ولد بقرية "مصطفى آباد" من قرى مديرية رائى بريلى ونشأ بها. وكان صبيا صغيرا فرحل إلى لكناؤ للحصول على العلم والمعرفة وقرأ العلم على الشيخ حامد حسين بن محمد قلى الموسوى. ثم استفاد من المفتى محمد عباس بن فتح على التسترى وأخذ الفنون الأدبية منه حتى برع فى الشعر والإنشاء وغيرهما من الفن. وفاق معاصريه فى ذلك وكان عباس التسترى يعتز به ويقول : "إنه أصدق خل من بطانتى وأوثق سهم من كنانتى"(٥) وقد ترك له مجموعا فى الشعر والإنشاء. ومن شعره قوله يرثى به شيخه المفتى عباس التسترى الذى توفى سنة ١٣٠٦هـ.(٦)

قفا بديار دارسات بلاقع عفت من رياح عاصفات زعازع

طلول علوم أو حشتها يد الفنا وماغاب من آثارها غير راجع
تعفى العلوم بالحطوب فاصبحت قفار الديار خاويات المراتع
خوالدصماء بالإكام كما ترى أثا فى سفعا فى فناء المرابع
لقد لعب الدهر المشتت بأهلها فأظعنهم تباله من مخادع
فقد ظعنوا عنها جميعا وغادروا معالم من أقلامهم و الأصابع
بذا اليوم قد صاروا رهين مقابر و بالامس قد كانوا رؤوس المجامع
فجمعنا بقوم شيدوا دين ربهم وما قصروا فى ذاك وقيد الاكارع
ولا سيما حبر فصيح ومفلق فقيه نبيه قاتم الليل خاضع

وقوله من قصيدة أخرى تسمى بشقائق النعمان:(٧)

طار الكرى من بينكم عن مآقى فترفقا بالهائم المشتاق
يا حبذا يوم تحملتم به نحو الغرى على متون عتاق
يوم تحملتم وفى وجناتكم أثر الجوى بالمدمع المهراق
يوم تحملتم فهيج لى البكا مبكاكم قلتم فهل من واق
ودّعتمونى مستهاما بعدما أحرزت حظا وافرا بتلاق

وقوله من قصيدة سماها "شفاء الأسقام" (٨)

قد قام عنى عودى لغرامى أعيى الطبائب كلهم أسقامى
صار الأجانب والأقارب كلهم فى لوعتى ومدامعى وسقامى
دنف كئيب لا يمن سهاده صب شبح يبكى بدمع دام
جاءت تخافت من سماع مراقب ذهبت تجنب أعين اللوام
بيضاء يلمع فى البراقع وجهها أفلت متى برزت من الحمام
اودعتها قلبى وهن ظعائن والدمع فى التسكاب والتسجام

وبدار آنسة وقفت وإننى أبكى على الاطلال كابن حزام

لو نلقى نظرة على هذه الأشعار نجد أن الشاعر قد تأثر بالشعراء الجاهليين وأشعارهم فى قرض الشعر وسلك على غرار أصحاب المعلقات الذين بدأوا قصائدهم بذكر الديار والطلال والدمن التى عفت الرياح آثارها على مرالسنين. هذا الشاعر أيضا بدأ قصيدته التى قالها فى رثاء شيخه المفتى عباس بالوقوف على الديار وذكر معالم الأطلال والأثا فى فى الفناء ثم يتخلص إلى الغرض الحقيقى. ثم نرى فى القصيدتين الثانية والثالثة أنها أشعار قد تغزل بها الشاعر ولكن لا توجد فيه الوان من المجون كما تكون فى أشعار بعض الشعراء الجاهليين.

السيد محمد باقر اللكنوى:

ولد محمد باقر بن ابى الحسن اللكنوى سنة ١٢٨٦هـ بمدينة لكناؤ ونشأ بها تحت رعاية أبيه وقرأ الكتب العلمية منه وغيره من العلماء فى ذلك العصر. ثم سافر إلى العراق للحصول على مزيد من العلوم وأقام بمدينة نجف لأن هذه المدينة كانت تلائم للتفقه والإجتهاد.(٩) فقرأ الفقه والأصول وحصلت له الإجازة عن مشائخ عصره فى فترة قصيرة. ثم إشتاق إلى زيارة موطنه فرجع إلى الهند وولى درجة الإجتهاد بمدرسة تسمى بـ"حسين آباد" وله قريحة طيعة فى الفنون الأدبية وقد قال قصائد عديدة.

من قصائده قوله فى مدح على بن أبى طالب:(١٠)

صحى القلب عن حب الحسان العواتق واصبحت فى شعل عن اللهو عائق

أ أبغى وصال البيض والشيب شامل كفى وازعا عنهن شيب المفارق

وصاح نهار الشيب فى ليل عارضى وحلق غربان الشباب الغرانق

وما أنا إلا البدر فى الليل طالعا وهم كالكلاب العاديات الزواعق

وقل للعدى موتوا بغيض نفوسكم فما الفضل إلا للكرام المعارق

ونحن ورثنا المجد عن كل ماجد وآباء صدق كالشموس الشوارق

وكل لبيق بالطعان حزور طويل نجاد السيف حامى الحقائق

وكل فتى لايرهب الطعن قلبه محشش لنار الحرب فى كل مآزق

ذرينى أنل مالا ينال من العلى بكف طويل الباع أبلج حادق

توفى هذالشاعر سنة ١٣٤٦م الهجرية.

مولانا محمد جان البحرى آبادى:

ولد محمد جان بن يعقوب العمرى بقرية من قرى مديرية أعظم جراه تسمى بـ "بحرى آبادى" ونشأ بها. حفظ القرآن الكريم أولا ثم تلقى العلوم من علماء المنطقة. واستفاد من الشيخ محمد فاروق بن على أكبر العباسى الجرياكوتى و بعد ذلك أخذ الفقه والأصول والكلام وغيرها عن الشيخ عين القضاة بن محمد وزير الحيدرآبادى حتى أصبح واحدا من العلماء البارزين فى الفنون الأدبية.

ولى الشيخ الفاضل التدريس بالمدارس المختلفة منها المدرسة الفرقانية ومدرسة مهابت خان بجوناغر. وقال أشعارا باللغتين العربية والفارسية. ومن شعره العربى قوله يمدح الإمام الربانى مولانا الشيخ أحمد السرهندى: (١١)

بركاته عمت فوافت كل ما ذرت عليه الشمس من بحر وبر

عم الورى طرسنا آثاره قرت لرؤيتها عيون ذوى البصر

الرشد ظل بسعيه متهللا من بعدما قد كان منطمس الأثر

والشرك والإلحاد قد محيا به والغىّ ادبر والضلال نأى وفر

كم من موات القلب نال حياته من فيضه فزها وراق به النظر

كم جاهل غر أتاه لرشده فالجهل زال برشده وكذا الغرر

قد ذكرت ثلاثة شعراء من العصر الإنكليزى وبعض نماذج من أشعارهم. لونمعن النظر فيها نجد أن هذه الأشعار تحتوى على الحمد والمدح والرثاء والوعظ وغيرها من الموضوعات. وقد قال هؤلاء الشعراء الثلاثة وغيرهم أشعارا من الغزل كما رأينا فى القصيدة "شفاء الأسقام" للسيد محمد مهدى المصطفى آبادى. ولكن أشعارهم تختلف عن أشعار التشبيب من الشعراء الجاهليين. ولا نجد أى نوع من المجون والفساد الخلقى فى أشعارهم. ولم يقولوا أشعارا من الغزل والتشبيب إلا لتحسين الكلام. ماأحسن قول الدكتور زبير أحمد الفاروقى فى هذا الصدد. "أما فيما يتعلق بالغزل بمعناه المعروف فشتان ما بينه وبين علماء الدار. فلانجد فى شعرهم 'بالطبع' ما يزرى بشأنهم من الوان المجون والانحلال الخلقى والتعرض لوصف بنت حواء. وفى الوقت الذى تبتدأ فيه قصائدهم بالتشبيب ليس المقصود من ذلك إلا إتباع الشعراء المتقدمين من العرب والغرض الوحيد من ذلك هو تحسين الكلام دون سواه.(١٢)

مع أن الدكتور الفاروقى قد قال هذا القول عن علماء دارالعلوم لكن هذا شأن الشعراء الهنود الآخرين لأنهم أيضا كانوا يومنون بالآية القرآنية "والشعراء يتبعهم الغاؤن" سورة الشعراء . الآية ٢٢٤. وقالوا أشعارا جيدة من حيث الأسلوب والمعنى. ويقول الفاروقى "إن شعرهم يقارب الشعر الجاهلى اسلوبا والشعر الإسلامى معنى ومضمونا. (١٣)

المراجع :

١. مساهمة دارالعلوم بديوبند د/ زبير أحمد الفاروقى ص ١٦

٢. نفس المصدر

٣. نفس المصدر ١٥، ١٦

٤. نزهة الخواطر السيد عبد الحيء الحسنى جـ ٨ / ٤٨٢

٥. نفس المصدر

٦. نفس المصدر ٤٨٣

٧. نفس المصدر ٤٨٤

٨. نفس المصدر ٤٣٦

٩. نفس المصدر ٤٣٦

١٠. نفس المصدر ٤٣٩

١١. مساهمة دارالعلوم بديوبند د/ زبير أحمد الفاروقى ٩٠

١٢. نفس المصدر

١٣. نفس المصدر

الباب الثاني

في

الشعر العربي في الهند

من ١٨٥٠م حتى ١٩٠٠م

الفصل الأول

في

الوضع السياسي في العهد البريطاني

ورد الإنجليز على الهند بذريعة التجارة فى عهد جهان كير الذى أذن لهم أن يقيموا بها مراكز تجارية. عندما ارتقى العرش اورنغ زيب كان الحكم الإسلامى على ذروة القوة الإزدهار فى عصره. أحس هذا الإمبراطور بأن ورود الإنجليز على الهند من بواعث المضرات والأخطار ففرض الحظر على إتيانهم فلما ضعفت الدولة المغولية بدأت الدول الغربية تتنافس فى توطيد نفوذها فى الهند بواسطة شركاتها التجارية وكل من هذه الدول كان يريد أن يلتهمها وحده دون شريك. ولكن دولة بريطانيا تغلبت على الدول الأخرى كلها وقضت على نفوذ غيرها حتى احتلت بالهند كاملا سنة ١٨٥٧م.

كان هناك مسلمون غيارى أقلقهم هذا الوضع فشمروا عن ساقيهم للكفاح والمقاومة ضد الإنجليز' كان على رأسهم السلطان تيبوا' إنهم قدحاولوا أيما محاولة للقضاء على النفوذ الإنجليزى مستغلين ماكان بين الفرنسيين والبريطانيين من عداء. وخاض السلطان تيبوعدة معارك مع الإنجليز وكاد أن يتغلب عليهم وينقذ البلاد من مخالب المستعمرين لولا خيانة بعض القواد من الجنوب.(١) ومن الأسف أن هذا السلطان الباسل الذى كافح المستعمرين قتل سنة ١٧٩٩م ولم يعد بعده من يقاوم المستعمرين فطار المستعمرون فرحا و تنفسوا الصعداء. وصاروا أحرارا فى تنفيذ الخطط التى رسموها للإستيلاء على الهند وفازوا بالإحتلال.

هذا الإحتلال لم يزل كان يزعج المسلمين ويقلقهم حتى أثاروا ثورة عنيفة ضد الإنجليز لتحرير البلاد من سلطاتهم وأيدهم بعض الهنادك فى هذه الثورة وفوض الهنود القيادة إلى الملك آنذاك بهادرشاه ظفر ولكنه لم يكن فى وسعه أن يقود هذه الثورة ففشلت هذه الثورة أو حرب تحرير البلاد وتغلب الإنجليز على الهند والقوا

القبض على الثائرين بمن فيهم الملك بهادرشاه ظفر وكاد أن يقتل لولا ضمان ضابط عسكرى إنجليزى لحياته ولكن المستعمرين نفوه إلى رنغون حيث توفى سنة ١٨٦٢م ودفن بها.

لما أخمدت هذه الثورة تحمل المسلمون وحدهم نتائج هذا الفشل وخص الإنجليز المسلمين بالتنكيل مع أن الهندوس قد شاركوا هذه الثورة مع المسلمين. واستهدفوا الأسرة الملكية وقتلوا عددا كبيرا من ضعفاء ها وثلاثة أبناء الملك وقدموا رؤوسهم إلى أبيه فى أطباق على مائدة الطعام. وقد تفننوا فى التنكيل بالمسلمين، الذى عير بعض الإنجليز أيضا.

لكن مع كل ذلك لم تمت غيرة المسلمين السياسية والنضالية بل أشعلها هذا التنكيل المتنوع ولم ييأس المسلمون من هزيمتهم لأن قلوبهم كانت مليئة بالإيمان بالله والإخلاص لدينهم وحب الجهاد فى سبيل الله وانقاذ البلاد من المستعمرين الأشرار وكان هؤلاء المسلمون المجاهدون برغم قلتهم شوكة فى جنب المستعمر الذى كان يتخيلها دائما أكبر وأقوى من شوكة ويخشى أن تزداد وتكبر وتقوى حتى تأتى على حياته.(٢)

ولكن الإنجليز لم يكونوا ساذجين بل كانوا ماكرين إلى الغاية. واتصلوا ببعض العلماء يصطنعونهم و يستفتونهم فى جواز الجهاد بالهند فاصدر هؤلاء العلماء الفتاوى بأن الجهاد فى حالة عدم التكافؤ بين القوة الإسلامية وقوة المستعمرين عبث ومضيعة للنفس والمال. وأن المستعمر مادام لايتدخل فى إقامة الصلوة وأداء الفرائض فلا تكون البلاد بلاد حرب...(٣)

وقد استجلب الإنجليز هذه الفتاوى حتى من مكة المكرمة وكان الغرض منها إبطال أثر الفتاوى التى أصدرها العلماء المخلصون للدين بمن فيهم الشاه عبدالعزيز

الدهلوى وهو أول من أصدرها سنة ١٨٠٣م. ونادى فيها بوجوب الجهاد ضد الإنجليز وأعلن فيها أن المملكة الإسلامية فى الهند بعدما تسلط عليها الإنجليز وتحكموا فى كل أمر فيها أصبحت بالنسبة لهذا الموقف دارحرب ويجب على المسلمين والمسلمات أن يجاهدوا الإنجليز ويقاطعوهم حتى يخرجوهم من الهند لأنهم أعداء المسلمين المحاربين لهم.(٤)

وكان الشاه عبدالعزيز يرى أ نه ليس من الضرورى لكون البلاد بلاد حرب أن يتدخل الإنجليز فى أمور المسلمين الدينية بما فيها إقامة الصلوة وأداء الفرائض الأخرى بل كان يقول "إن المراد بدارالاسلام بلاد يجرى فيها حكم إمام المسلمين وتكون تحت قهره. وبدارالحرب بلاد يجرى فيها أمر عظيمها وتكون تحت قهره."(٥)

وكان الإنجليز كما ذكرت عيارين وماكرين وبدأوا يدبرون الأمر لإضعاف حركة المجاهدين حتى راودوا بعض المسلمين الجهال وأغروا العداوة بينهم وبين السيد أحمد الشهيد الذى كان يعد الحركة ويشجع المجاهدين. وتمكن الإنجليز من الفتك به وزميله السيد إسماعيل الشهيد سنة ١٨٣١م.

مهما يكن من أمر إن هؤلاء المجاهدين المخلصين لم يخضعوا لمؤامرة الإنجليز الشنيعة ولم تفتر عزيمتهم بل تشجعوا على المحاربة ضد المستعمرين فى البلاد. ويقول عبد المنعم النمر ناقلا عن السيد أبى الحسن على الندوى"فلم يزل هؤلاء وأصحابهم فى الهند قائمين على الحق باذلين فى ذلك النفس والنفيس و الإنجليز يطاردونهم ويضطرونهم ويصادرون أملاكهم وأموالهم ويحاكمونهم محاكمات طويلة عريضة وهم محتسبون صابرون لايضطربون ولايتزعزعون ولايلينون ولايستكينون."(٦)

ومن المعلوم أن المسلمين والهنود قد شارك كلهم سواء فى الثورة ضد الإنجليز سنة ١٨٥٧م ولكن الإنجليز ساء ظنهم بالمسلمين فيما يتعلق بهذه الثورة فصبوا كأس غيظهم عليهم وأصيبوا بتعسفهم. وتعودوا بأن يظنوا كل مسلم ثائرا عليهم ويسئلوا جميعا عن هويتهم لم يكادوا يعرفوه مسلما حتى قتلوه بالرصاص.(٧)

كان الإنجليز يحاكمون المسلمين محاكمات طويلة لالجريمة كبيرة بل لتهمة بسيطة ' ويعذبونهم عذابا شديدا. ولم تخفف هذه العقوبات الشديدة حدتهم فحكموا على المسلمين على الشنق. ومن الذين تم حكم الإعدام عليهم مولانا يحيى على من مدينة بتنا بولاية بيهار ومحمد جعفر التانيسرى ومحمد شفيع اللاهورى. وقال لهم القاضى وهو يصدر حكم الإعدام عليهم "إننى أحكم عليكم بالإعدام ومصادرة جميع ماتملكون من مال وعقار ولايسلم أحدكم إلى ورثتكم بل يدفن فى مقابر الأشقياء بكل مهانة وسأكون سعيدا ومسرورا حين أراكم معلقين على الشنقة".(٨)

ولكن هؤلاء الشبان الثلاثة بدلا من الإضطراب والقلق أجابوا بكل هدوء "إن الأرواح بيد الله تعالى إنه يحيى ويميت وإنك أيها القاضى لاتملك حياة ولا موتا ولاتدرى حتى من السابق منا إلى الموت" وحير الناس قولهم هذا حتى سألهم ضابط إنكليزى إسمه "بارسن" مالى أراكم مبتهجين ومغتبطين ويحكم عليكم بالإعدام فقال له محمد جعفر التانيسرى "ومالى لا أفرح ولاأستبشر وقد رزقنى الله الشهادة فى سبيله وأنت مسكين لاتدرى حلاوتها." فبهت الإنجليز وأحسوا بأن السجناء المسلمين يفرحون بهذا الحكم وينتظرون حكم الإعدام فشق عليهم وحاولوا تحويل حكم الإعدام إلى حكم آخر حتى قرروا نفيهم ودخل على السجن حاكم المدينة يوما وقال لهم: "إنكم أيها الثوار تحبون الشنق وتعدونه شهادة فى سبيل الله ولانريد

أن نبلغكم أملكم وندخل عليكم بالسرور ولذلك نلغى حكم الإعدام ونحكم عليكم بالنفى المؤبد إلى جزائر سيلان.(٩)

نفى بعضهم سنة ١٨٦٥م وأرسل مولانا يحيى على ومولانا أحمد الله العظيم آبادى وعبد الرحيم الصادق فورى والمولوى جعفر التانيسرى إلى جزائر اندمان. وتوفى يحيى على وأحمد الله هناك أما محمد جعفر التانيسرى فعفى عنه ورجع بعد ثمانية عشر عاما وذلك فى سنة ١٨٨٣م. وبجانب هؤلاء العلماء قد أرسل الآخرون بمن فيهم فضل حق الخيرآبادى و المفتى عنايت احمد الكاكوروى و المفتى مظهر كريم الدريابادى.مات فضل حق الخيرابادى هناك ولكنه رجع زميلاه بعد فترة طويلة.(١٠)

واذا كان هؤلاء المجاهدون المخلصون قد تحلوا بهذه الروح المثالية العالية فى فدائها وتضحياتها فان عددا كبيرا من المسلمين كان يشاركهم فيما بعد ويعمل ماكان يستطيع من المقاومة والكفاح ضد الإنجليز فى صورة متنوعة. قد أقلق هذا الوضع الشعراء، وإضطربوا منه وعبروا عما تحملوه من القلق و الضيق وقالوا أشعارا كثيرة عن هذالوضع المؤلم.

وقد صور مولانا فضل حق الخيرآبادى ما لقيه من ألم وعقوبة فى المنفى بجزائر سيلان وقال قصيدتين: همزية و دالية: تشتملان على مأة وستة وثمانين، ومأة شعر على الترتيب. ويقول فى القصيدة الهمزية:

لجوى له بجوانحى إيراء　　حمد الدموع وذابت الأحشاء
ولما ألمّ من النوائب والنوى　　يبكى الصديق ويشمت الأعداء
ألم ألم بنا وهم همنا　　ونوى لنا منها بلى وبلاء
حلت عظام مصائب جلت بها　　وهن العظام ودقت الأعضاء

إنى بلانى خدعةإمرأة بلى كيد عظيم ماتكيد نساء(١١)

يخلبن خلقا بالو اثق ثم لا لعهودهن وعهدهن وفاء

فدعت بأن قد شهرت أن أمنت قوما نبت بهم الديار وناءوا

فأتيت دارى آئبا إذ غرّنى أيمان كافرة لها استيلاء (١٢)

ثم إعتدى عما لها اذ ما رعوا ميثاقها فأتانى استدعاء

قد ضيقوا عيشى على فعقت ونسيت عيشا كان فيه رخاء

حجروا على وأسكنونى حجرة لم يأتها غير السموم هواء

منعوا أشد المنع أن يلقانى الأ حباب والإخوان والأبناء(١٣)

لم يكتفوا ظلما بحبسى بل ربا فوق إحتباسى غربة وجلاء

وأذكر بعض الأشعار من القصيدة الدالية التى قالها فضل حق الخير آبادى فى نفس الموضوع. وهو يقول فى موضع آخر...(١٤)

عودى فعودى مريضا دائه عادى أشفى على الحين حتى عاده العادى

دائى عضال ولايجدى بعائدة عود لداء يعود الداء عواد

لم يبق لى جلد مما أصيب به قلبى وروحى وجثمانى وأجلادى

لقد دهانى فأوهانى فزائلنى الدهاء أن كادنى أشرار أنكاد

كادت مليكتهم اذ آمنت فرقا من الرعايا وأفواج و أجناد

وشهرت كتبا منشورة نشرت إيمانها لمحاريب وأضداد

وطمّعت كل دهقان فطاوعها حل الدهاقين من قار ومن باد

لما رأت أنه لم يبق مختصم للحرب باغ ولا باغ ولاعاد

عادت فعادت فما منت بما وعدت منت حبائل ميثاق و ميعاد

منت بما وعدت ثم اعتدت وعدت فكان موعدها كيد الإيعاد

رجعت اذ غرّنى أيمان كافرة　　زورا بعهد إلى أهلى وأولادى

لم يقنعوا باحتباسى بل أضيف إلى　　حبسى جلائى وتغريبى وابعادى

فلا يرى فيه يوما ضوء شمس ضحى　　ولا سنا نير بالليل وقاد

يومى كليلى وليلى سرمد تقف　　النجوم فيه كأن شدت بأوتاد

قطعت عما سوى الله الرجاء فما　　ممن سواه رجاء رفد وإرفاد

يارب أنقذه من أيدى عدى كفر　　بجاه أحمد محمود وحمّاد

هاتان القصيدتان كلتاهما طويلتان وتحتويان على أكثر مأة شعر وكل شعر منهما يصور تصويرا حقيقيا لما عانى المسلمون الهنود من ألم وتنكيل فى المنفى بجزيرة اندمان وكنت اودّ أن أنقل جميع الأشعار من القصيدتين ولكننى اكتفى بذكر هذه الأشعارللتجنب عن الطول وقد كتب الشاه عبد العزيز رسالة منظومة إلى عمه الشاه أهل الله وقد ذكر فيها تعسف الإنجليز وفسادهم وعدوان السيخ (Sikh) ومرهت (Maratha) وهو يقول:(١٥)

لأغدو وأثواب النعيم ملابسى　　وأمسى وأيدى الطيبات حمائلى

ولكن أرى الإفرنج أرباب ثروة　　لقد أفسدوا مابين دهلى وكابل

ولقد رفع الأشراد فوق خيارنا　　وكل أمر أشر يلح بالثنا ظل

جزى الله عنا قوم سكهه ومرهت　　عقوبة شرعا جلا غير آجل

فقد قتلوا جمعا كثيرا من الورى　　وقد أوجعوا فى أهل شاء وجاهل

ولم يدعوا قوما مصونين عنهم　　وإن واقعوهم بالذرى والكلاكل

لقد فسدت هذه الديار وقد خلت　　عن العذل حتى قلت بل كل قائل

فهل بعد هذا من معاذ لعائذ　　وهل من مغيث يتقى الله عادل

ويقول فى رسالة أخرى إلى عمه الكريم:(١٦)

جزاك ربك فى الدارين خيرهما وطول عمرك فى الدنيا فمسئول

أيام برد أنت فالقلب منجزع من قوم سكهه وإن الخوف معقول

افناهم الله عن هذه الديار فهم شر الأعادى وهم من جنة غول

فوضت أمرى وأمر الناس أجمعهم إلى الله وإن الحفظ مأمول

قال انور شاه الكشميرى قصيدة سماها "غدارة اليونان والبرطانى" وتحتوى القصيدة على ثمانية وأربعين شعرا. وهو يقول:(١٧)

أو ما ترى لما عدت عن طورها غدّارة اليونان والبرطانى

حتى غدوا لا يؤمنون لربهم وتنصلوا من خلقة الإنسان

فازداد شرفى البسيطة منهم ما كان يحكى منذ جنكز خان

أو ما ترقرق عينهم أو قلبهم من رحمة الصبيان والنسوان

أجيال كفر قد عدّوا حتى رأت عينان مالم تسمع الأذنان

حتى تدارك رحمة من ربنا من دولة الإسلام من عثمان

المصطفى الغازى الكمال فهدّهم صرعى وهلكى هل ترى من غان

وأشدهم بأسا على أعدائه وأسدّ رأيا فى نزال عوان

والسيف أشفى للصدور من العدى والعزم أمضى منه فى الميدان

وقال المفتى كفاية الله الدهلوى قصيدة عندما أعتقل أستاذه محمود الحسن الديوبندى المقلب بشيخ الهند وصار أسيرا فى السجن بمالطة. هذه القصيدة تحتوى على ١٣ بيتا. وعنوان هذه القصيدة بالضيف الخائن. وهو يقول:(١٨)

ضيوف أتونا فى جلود غنيمة جياعا وعريا يستضيفون قاريا

وكفا كغيت روض الأرض ديمته فعادت سواء روضة أوفيافيا

قرينا وكاوينا كم فى ربوعنا ولم ندر أنا نحن نؤوى الأعاديا

فخنتم طويلا مضيفك وعبّدتموهم فصارت أضاحيهم تبارى الليالیا

فنمنا طويلا نومة مستطبة ذهلنا بها عما اجترحتم مساويا

مصائب صبت ثم عادت دوايا فلم نستفق حتى إستحالت مخازيا

المراجع: ص

١. كفاح المسلمين فى تحرير الهند عبد المنعم النمر

٢. نفس المصدر ٢٩-٣٠

٣. نفس المصدر ٣٠

٤. تاريخ الاسلام فى الهند ٤١٦

٥. الواح الصناديد عطاء الرحمان القاسمى ١٦٧

٦. كفاح المسلمين فى تحرير الهند عبد المنعم النمر ٣٢

٧. هندوستانى مسلمان ابوالحسن على الندوى ١٦٢

٨. نفس المصدر ١٦٧

٩. كفاح المسلمين فى تحرير الهند عبد المنعم النمر ٣٤

١٠. هندوستانى مسلمان ابوالحسن على الندوى ١٦٧

١١. ملكة فكتوريا

١٢. عندما احتل الانجليز بدلهى اختفى مولانا فضل حق الخيرآبادى ولكن حينما أعلنت الملكة فكتورية العفو العام فأيقن به وعاد إلى وطنه خيرآباد ولم يكد يصل موطنه حتى ألقى القبض عليه . وحكم بالنفى المؤبد.(الثورة الهندية)

١٣. الثورة الهندية فضل حق الخير آبادى ٤٣٥-٤٣٨

١٤. نفس المصدر ٤٦٠-٤٧٠

١٥.حيات ولى	محمد رحيم بخش	٣٢٨-٣٢٩
١٦.نفس المصدر	.....	٣٣٣-٣٣٤
١٧.نفحة العنبر	محمد يوسف البنورى	١٦٣
١٨.نزهة الخواطر	السيد عبد الحى الحسنى	

الفصل الثانى

فى

الوضع الدينى فى العهد الإنجليزى

كان الحكم الاسلامى بالهند على أوج الإزدهار والتطور وقد وصل من القوة الاعتزاز الى الحد الذى جعل سفير جيمس الأول ملك انجلترا يمكث اكثر من سنتين فى الهند يحاول لقاء جهانكير ، ولكنه لم يبلغ مرامه حتى تضرع الى وزيره أن ياخذ كتابا منه الى ملك انجلترا .فقال له الوزير الأول " إنه لا يناسب قدر ملك مغولى مسلم أن يكتب كتابا الى سيد جزيرة يسكنها صيادون بائسون (١)وكان هذا الحال عند ما كان اورنك زيب يحكم الهند .ولكنه من الأسف أنه جاء بعده الملوك الضعاف الذين لم تكن فيهم مؤهلات لإدارة الحكومة و تدبير أمورها حتى بدأت الدولة الاسلامية تنتشر وتتهادى من فوق القمة التى أقعدها فوقها .

كان بهادر شاه ظفر آخر السلاطين المغولين .عندما تولى بهادر شاه ظفر العرش كان الانجليز قد سيطر وا على معظم بلاد الهند .ويقال ان حكومة بهادرشاه ظفر لم تكن الا فى داخل القلعة الحمراء فأثار المسلمون ضد الانجليز المستعمرين كى يستردوا منهم حكومتهم المسلوبة ولكن الانجليز قد أخمدوا هذه الثورة وتغلبوا على الهند كاملا.

كانت الفترة التى أعقبت هزيمة الثورة الهندية ضدا الانجليز سنة ١٨٥٧م فترةيأس وحرمان وبدأ معظم المسلمين يشعرون بالهزيمة والدناء ة والحرمان فى أنفسهم أما الانجليز فقد ارتفعت عزيمتهم من أجل الانتصار .وكانوا يقولون مجاهرين أن بلاد الهند عطية من عطايا عيسى المسيح الذى أعطاهم إياها كى يروجوا بها تعاليمه .وفعل الانجليز ما فعلوا من القتل والدمار فى نشر الثقافة المسيحية.

ومن المعلوم أن احتلال الانجليز بالهند لم يكن احتلالا سياسيا فحسب بل

كان احتلالهم احتلالا ثقافيا أيضا لأنهم بعدما تولوا بزمام أمور الهند بعد فشل حرب الاستقلال وجهوا جل عنايتهم فى نشر الدين المسيحى وتوسيع ثقافته ويقول الدكتور عبد المنعم النمر " كان الهدف من هذه السياسة تقليم أظافر المسلمين والقضاء على معنوياتهم ، وقتل كل أمل يراود نفوسهم فى استرداد أيا مهم الماضية وسلكوا فى تنفيذ مآربهم هذه كل الطرق المؤدية اليها.(٢) وحاول الانجليز أن يغلقوا مراكز المسلمين الدينية الثقافية المنتشرة فى جميع أنحاء البلاد .وكانوا يعتقدون أن هذه المراكز الثقافية والمدارس الدينية والمعاهد التعليمية للمسلمين ستلعب دورا بارزا فى ترويج الثقافة الاسلامية والتعاليم الدينية وتحول بينها وبين ترويج ونشر الثقافة المسيحية .ولم يتوقفوا عن إغلاق هذه المعاهد فحسب بل تغلبوا على الأوقاف والمؤسسات الاسلامية التى كانت تقدم الى المدارس معونة مالية وقال الدكتور عبد المنعم النمر ناقلا عن المؤرخ الانجليزى السيد هنتر "فحاربوا مدارسهم وكانت منبع الثقافة والعلم فى الهند و نزعوا الأوقاف الاسلامية التى كانت توفر لها الأموال وعمدوا الى الأغنياء الذين كانت تدفعهم الحمية الى مساعدة هذه المدارس فأخافوهم أو منعوهم وأغزوهم حتى كفوا عن مساعدتهم فأغلق كثيرا منها ابوابها.(٣)

ويقول الدكتور زبير أحمد الفاروقى "صارت الأوقاف والموسسات الخيرية ملكا للقوة المستعمرة التى أصبحت جاثمة على صدر الشعب الهندى عاملة على تخلفه وتعطيل مسيرته الحضارية والقضاء على الثقافة الدينية الاسلامية بوجه خاص حيث لم يكن من صالحها أن تكون المعاهد الاسلامية دائبة على تنشئة الجيل المسلمة وتربيتها وإعدادها ونتيجة لذلك أصيب نظام التعليم الاسلامى بتعطل كلى"(٤)

هذه هى سياسة الانجليز الغاشمة ومحاولاتهم الشنيعة التى قد تسببت أكثر بكثير الى تخلف المسلمين الهنود فى التعليم كليا وأنشئت المراكز الجديدة والمعاهد العديدة لنشر الثقافات والدعوة المسيحية ودعت الحكومة الانجليزية دعاة المسيحية والجمعيات التبشيرية من بلادها الى الهند انهم قد استهدفوا الاسلام والتعاليم الدينية وقد بذل هولاء الدعاة قصارى مجهوداتهم فى تشويه العقيدة الاسلامية واختاروا لهذا الغرض المسلمين الفقراء والمتخلفين لكونهم عرضة ساذجة لدعواتهم ، وأنفقوا عليهم أموالا باهضة حتى جعلت تنبعث فيهم خطة التدريس الغربية الجديدة والفوضى الخلقية والبعد عن دينهم ويرى أن الجيل القادم سيكون غير خبير بالشريعة الاسلامية قد أقلق هذا الوضع المسلمين وكانوا يخافون على الدين الحنيف من قبل المستعمرين الذين هزموهم شد هزيمة فى معركة وقعت ببلدة شاملى ١٨٥٧م وكان الدين الحنيف على وشك الاندراس ولم يكن المسلمون قادرين على القتال لعدم التكافؤ بينهم وبين المستعمرين ولكنهم كانوا يقدرون على أن ينقذوا هذاالدين الثمين بانفاق الأموال .ويقول الدكتور عبد المنعم النمر "فرأى بعض المفكرين من المسليمن أن سلطانهم وإن ضاع منهم حين لم يقدروا على الدفاع عنه بالسلاح فانهم يستطيعون أن يبذلوا من نفوسهم ومن أموالهم ما يحفظون به دينهم حتى لا تكون نكبتهم فى سلطانهم ودينهم معا "(٥)

فاضطر العلماء الهنود الى اقامة مدارس دينية تحمى المسليمن من الانحطاط الخلقى و الانهيار الدينى بعد التدهور السياسى و يتخرج منها علماء يتضلعون فى العلوم الدينية والشرع الاسلامى وتكون فيهم روح للدعوة الاسلامية ووعى للخدمات التطوعية وإشاعة العلم فيما بين المجتمع الاسلامى المضمحل ، ويقول الشيخ مناظر أحسن الغيلانى فى سيرة مولانا محمد قاسم النانوتوى "سوانح قاسمى"

"إن الذين تراجعوا من ساحة شاملى لم ينقطعوا عن التفكير بل بقى هولاء يكافحون لبقاء الدين والعلم الدينى واشتغلت به عقولهم وقلوبهم ينتظرون من الله النصر .وكان من ضمن هذه الجهود هذه المدرسة التى لم تكن غايتها التدريس والتعليم فحسب وانما كان من غايتها الأساسية تربية رجال يتداركون الهزيمة التى لحقت المسليمن فى سنة ١٨٥٧م(٦)

ويقدر هولاء العلماء على القيام باشاعة العلم وصيانته وقيادةالمسلمين دون أى إشراف من قبل الحكومة فوقع الخيار على اقامة مدارس دينية جديدة تكون مستقلة فى كل شىء ولا يمت بصلة الى الحكومة فاختار العلماء بلدة صغيرة تسمى بديوبند بمديرية سهارنفور واختاروها كى لا يمتد اليها أيدى المستعمرين وأقاموا مدرسة صغيرة وتم بناء ها على أيدى مولانا محمد قاسم النانوتوى سنة ١٨٦٧م وبدأت الدراسة فى مسجد صغير بطالب اسمه محمود الحسن واستاذه ملا قارى محمود تحت شجرة رمان .

ويقول الدكتور زبيراحمد الفاروقى "باقامة هذه المدرسة رد هولاء العلماء ردا مسكتا على الخطة التعليمية التى رسمها الاستعمار الانكليزى بهدف انشاء جيل فى الهند يكون هندى النسل واللون وأوربى الفكر والذهن حيث كان غرضهم من التعليم ايجاد جيل يكون بلونه وعنصره هنديا ويتنور قلبه وعقله بنورالاسلام ويموج نفسه بالعواطف الاسلامية ثقافة وحضارة وسياسة".(٧)

واستهدفت دارالعلوم بديوبند تقويض التقاليد والعادات الغير الاسلامية وإصلاح معتقدات المسلمين والدعوة والإرشاد ويقول ابوالحسن على الندوى "ان التمسك بالدين والمواظبة على اتباع مذهب الأحناف وصيانة مثل الأسلاف العليا والدفاع عن السنة النبوية من ميزات دارالعلوم بديوبند".(٨)

ويقول فى موضع آخر "ولكن مما لا شك فيه أن لهذه الحركة وقادتها فضلا كبيرا فى تمسك الشعب الهندى الاسلامى بالدين وشريعة الاسلام وتفانيه فى سبيله والتماسك أمام الحضارة الغربية المادية الالحادية تماسكا لم يشاهد فى بلد اسلامى آخر تعرف بهذه الحضارة ووقع تحت حكم أجنبى وكانت ديوبند زعيمة هذا الاتجاه والمركز الثقافى الدينى والتوجيهى الاسلامى الاكبر فى الهند".(٩)

وبجانب هذه الفكرة ظهرت فكرة أخرى ومثلها السير السيد أحمد خان .عندما اتجه الانجليز بعد ثورة ١٨٥٧م الى اضعاف المسلمين من الناحية الاقتصادية وضاعفوا ديونهم أضعافا مضاعفة وأغلقوا أمامهم ابواب الوظائف ووضعوا العراقيل المادية للتجار المسلمين حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت . فشعر السير السيد أحمد خان هذه المشكلة الكبرى وكان يرى أن المسلمين ما لم يصبغوا أنفسهم بلون الثقافة الغربية الجديدة لا يمكنهم أن يرتقواويتقدموا الى الأمام فحاول أن يسد الفراغ بين الانجليز والمسلمين وبذل السعى والجهد لغرس الثقة فى نفوس الفريقين حتى يقبل بعضهما بعضا ويستفيد ويفيد ...ودعا السير السيد أحمد خان المجتمع الاسلامى الى تلقى التعليم المدنى الذى أتى به المستعمرون الى الهند.

ولكن جماعة من المسلمين لم تقبل هذا المقترح بل تحولت الى أعداء عنيفة له ولأصحابه .فلما رأى السير السيد أحمد خان من العسير أن يقنع المسلمين بارسال ابناء هم الى هذه المدرسة المقترحة فاضطر هو وأصحابه الى إقامة مدرسة اسلامية تقدم التعليم الحديث الى جانب التعاليم الدينية الاسلامية .وسافر سيد أحمد خان الى انجلترا سنة ١٨٦٩م ودرس نظام التربية بها فلما رجع من هنا أراد أن يؤسس مدرسة حديثة يتلقى بها أطفال المسلمين العلوم الحديثة .واختار لتأسيسها بمدينة على جراه حيث أنشأ مدرسة العلوم سنة ١٨٧٥م التى عرفت بكليةعلى جراه.(١٠)

و قد لا قى سيد أحمد خان المسلمين الأثرياء و تضرع إليهم لتقديم التبرعات لإنشاء مدرسة تكون للمسلمين فى الهند بمثابة آكسفورد و كمبرج فى انجلترا و هذه المدرسة ستعد رجالا يتحملون مسئوليات تثقيف أبناء الوطن على كواهلهم ومن اغراضها كما يلى :

١ ـ أن تعلم المسلمين الثقافة الغربية والشرقية بدون أى تعصب و لا جمود .

٢ ـ أن يعنى فيها بحيا ة الطلبة الإجتماعية فيجدوا فيها سكنا يقيهم شرور المدن و مفاسدها فيطمئن الآباء ـ حين يرسلون أبناء هم إليها ـ إلى أنهم فى بيئة صالحة لخلقهم ، مرقية لآدابهم .

٣ ـ أن يعنى فى نظام الكلية بترقية العقل و تربية البدن و تهذيب الخلق معاً و بعبارة أخرى يكون الغرض منها "التربية" لا التعليم فقط.(١١)

أصبحت مدرسة العلوم هذه أو كلية على جراه جامعة مستقلة سنة ١٩٢١م.واعترف الحكومة بها واشتهرت بجامعة على جراه الاسلامية فيما بعد.

قد ذكرت بالايجاز الوضع الدينى فى الزمن الذى كان يحكم فيه الانجليز الهند.قد تأثر العلماء بذلك الوضع ورأينا أن معظم هولاء العلماء كانوا شعراء قادرين .والشاعر يكون لسان الحال والمجتمع ويكون أكثر الناس انفعالا فتأثر هولاء الشعراء بالأوضاع الراهنة آنذاك بالهند.وعبروا عنها فى أشعارهم وقلما نجد أشعارا تتناول هذا الوضع الدينى ومن المحتمل أن الشعراء قد قالوا أشعارا ولكنه تم قيام دارالعلوم بديوبند وغيره من المراكز الدينية والمعاهد الاسلامية التى كانت تعالج الشؤن الدينية .فاعتنى الشعراء بقرض الأشعار فى شأن هذه المدارس والمعاهد وقد أكثروا فى شأن دارالعلوم بديوبند.

وقال الشيخ عبدالرحمان السيوهاروى قصيدة تشتمل على ستة وعشرين بيتا

ويصف بها دارالحديث التابعة لدارالعلوم بديوبند قدأجاد فى وصفها بالفاظ بليغة ومعان بديعة فيقول :(١٢)

دارالحديث حمى الإله حماها ورعى خمائل روضها وسقاها

دار لأزهار الحديث حديقة فتعطر الكونان من ريا ها

بسمت هناك زهور هدى المصطفى لله عرف شميمها وشذاها

نفحات طيبة فى نشائم روضها ومن الحجاز نسيمها وصباها

دار أحق بأن يشاد بنائه دارمؤسسة على تقواها

نالت مفاخر ديوبند ببدئها فهى افتخار الهند بين قراها

بشرى لبانيها ويا بشراه فخلاصة الحسنات فى مبناها

وقال الشيخ حبيب الرحمان العثمانى قصيدة وصف بها دارالحديث المذكورة آنفا منها:(١٣)

نعم انه دار قد احتوت المنى لطيبة فيها طيبها وسرورها

فيا طيب أنفاس لطيبة اشرقت بها الأرض انوارا فتم حبورها

فأحيت قلوبا قد أميتت بجهلها وعادت رياضا مونقات وثورها

أضاءت لها الألوان وانجاب غيها وزالت غمايات الهوى وستورها

فها تيك دارللحديث وأهله بها تلتقى أنهارها وبحورها

وقال الشيخ اعزاز على الديوبندى قصيدة تحتوى على ٣٦ بيتا ومدح بها دارالعلوم الديوبندية وأساتذتها وطلبتها منها :(١٤)

دار العلوم بفيضها المدرار فاقت ضياء الشمس نصف نهار

باق على مر الزمان لاهله من فيضها الهطال بحر جار

زادت على شمس السماء وبدرها نورا فليس معارض ومبار

عادت تضيء وليلها كنارها وتميز الابرار من فجار
شهدت ملائكة الاله بفضلها ودعت لها الحيتان تحت بحار
وتضوع الاكوان من فوحاتها فكأ نها زهر من الازهار
ان زرتها ما زرت الا روضة أنفا من القرآن و الآثار
يتلى كتاب الله فيها دائما وحديث احمد سيد الابرار
ان زرتها ما زرت الا كوكبا يهدى الى الجنات للاخيار
و مدرسوها كلهم الا أنا مثل النجوم هداية للسارى
شبانها شبان زهد و التقى و شيوخها غر من الانوار
ذكر الاله طعامهم و شرابهم يتضوّعون لكثرة الاذكار
جافت جنوبهم المضاجع ليلهم وتراهم يبكون بالاسحار

وله قصيدة أخرى تحتوى على ١٦ بيتا قالها عند ما أنشدها فى نادية الأدب التى أنشأها طلبة دارالعلوم للترغيب فى العلوم الأدبية .وفيها موازنة بين الكتاب والرجال وقام بها بعد خبرة طويلة ويرى أن الكتاب خير جليس وأحسن أنيس له يوانسه فى الأحزان والأفراح .هو يقول :(١٥)

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
الام على التجنب والتخلى فقلت اجيبهم هذا شعارى
لقد طوّفت فى الآفاق دهرا وجبت الفقر والبيد الصحارى
و جربت البلاد و من عليها وميزت الصغار من الكبار
فانى لم اجد احدا نصوحا يقينى من وقوعى فى عوار
ولكن الكتاب كتاب علم سميرى فى الليالى و النهار
يواسينى اذا هجمت همومى ويونسنى اذا أنا فى الدمار

خليلى فى الهواجس والرزايا　　انيسى مونسى حامى الذمار

به سكرى اذا ما شئت خمرا　　ومنه افاقتى وبه خمارى

المراجع:　　ص

١. تاريخ الاسلام فى الهند　　د/عبد المنعم النمر　　٤١

٢. كفاح المسلمين فى تحريرالهند　　أيضاً　　٢٧

٣. نفس المصدر　　أيضاً　　٢٨

٤. مساهمة دار العلوم بديوبند

فى الأدب العربى　　د/ زبير الفاروقى　　١٧

٥. كفاح المسلمين فى تحرير الهند　　د/عبد المنعم النمر　　٣٦

٦. الصراع بين الفكرة الاسلامية

و الفكرة الغربية :　　ابو الحسن على الندوى　　٧٦

٧. مساهمة دارالعلوم بديوبند　　د/ زبير الفاروقى　　١٩

٨. هندوستانى مسلمان　　ابوالحسن على الندوى　　١٣٧

٩. الصراع بين الفكرة الاسلامية　　ابوالحسن على الندوى　　٧٧

١٠. هندوستانى مسلمان　　ابوالحسن على الندوى　　١٤٣

١١. زعماء الاصلاح　　أحمد أمين　　١٣٠

١٢. مجلةالقاسم　　المجلد الرابع العدد الاول ص ٣١،٣٣

نقلا عن مساهمات دارالعلوم لزبير الفاروقى ص ١٢١

١٣. مساهمة دارالعلوم　　د/ زبير الفاروقى　　١٢١

١٤. نفحة العرب　　محمد اعزاز على الديوبندى　　٢٦٤-٢٦٦

١٥. نفس المصدر　　محمد اعزاز على الديوبندى　　٢٦٤-٢٦٣

الفصل الثالث

في

الوضع الاجتماعي في العهد البريطاني

من المعلوم أن المسلمين قد حكموا الهند من بداية القرن الثامن حتى منتصف القرن التاسع عشر.عندما تولت الحكومةالانجليزية بزمام الحكومة بدأت تنفذ سياستها واستهدفت إلى اضعاف المسلمين الذين كانوا ملوكا قدامى فى الهند ' وأرقى السكان عقلا وعلما و إلى القضاء على مدارسهم ومعاهدهم والمؤسسات الخيرية التى كانت بمثابة القلاع والحصون المنيعة التى تحمى الدين والاسلام وثقافتها عن مؤامرات الانجليز السيئة ولم يكتف الإنجليز بهذه الأعمال الشنيعة بل قتلوا عدد ا كبيرا من المسلمين ونفوا بعضهم الى جزا ئر إندمان .وقد مضى ذكرهم فى الفصل الأول.

وكان الهدف من هذه السياسة السيئة والخطة الشنيعة تقليم أظافر المسلمين والقضاء على معنوياتهم وحيويتهم وإخماد كل نشاط فيهم وقتل كل أمل يشرق فى أذهانهم لإسترداد السيادة المفقودة والأيام الماضية. ثم التفت الانجليز الى اضعافهم من الناحية الاقتصادية فأقفروهم وضاعفوا ديونهم وساعدوا المرابين من الهندوس على انتزاع املاكهم .وسدوا فى وجوههم كل الوظائف الكبيرة والصغيرة التى كانوا سابقا يفوزون باكثرها . ووضعوا العوائق المادية والحواجز المالية فى سبيل الذين يحترفون التجارة منهم فضاقت عليهم الأرض بما رحبت.(١)

ويقول السيد ابوالحسن على الندوى ناقلا عن مؤرخ انجليزى "ان الموظفين الانجليز الكبار قد تمسكوا بأن يعزلوا المسلمين عن مناصب الحكومة وأن تغلق أبواب المعيشة أمامهم وأن تصادر ممتلكاتهم وأوقافهم التى تغذى مدارسهم ومعاهدهم وتفتح مدراس لا يمكن المسلمين أن يستفيدوا منها.(٢)

وكان يصرح فى بعض التصريحات الحكومية ألا تشغل الوظائف الشاغرة الا

بالهندوس و كتب وليم هنتر بالاشارة الى صحيفة فارسية مؤرخة بـ ١٤ من شهر يوليو سنة ١٨٦٩"ان المسلمين وان كانوا يملكون المؤهلات الكافية والكفاء ة المطلوبة لوظيفة حكومية .ولكنهم كانوا يشغلون عنها ببلاغ رسمى".(٣)

فمن هذا وذاك تأخر المسلمون فى جميع المجالات الهامة : فى التعليم وفى الاقتصاد والوظائف الرسمية تأخروا واضحا .وتقدم المواطنون الآخرون بمن فيهم الهندوس والسيخ وغيرها لانهم إقتربوا من الإنجليز وأخذوا ما قدموا اليهم من الدراسة الحديثة وغيرهم من المعونة لهم . ولم تكن للهندوس نظرة عداء للانجليز كتلك التى لدى المسلمين .ثم ان لهم هدفا من التعليم وهو أن ينشغلوا فى الوظائف الحكومية الصغيرة التى يوفرها النجليز لهم وكان الانجليز يشجعونهم لانهم كانوا يرون أن الهنادك غير مواليين قلبيا للحاكم المسلم .فهم أضمن لتنفيذ سياستهم ومآربهم ولهذا كله احتضنوهم وعملوا على زيادة التفرقة بينهم و بين المسلمين ليضمنوا ولائهم ونفذوا سياستهم "فرق وتسد"فأصبح المسلمون تحت مطرقتين :مطرقةالانجليز ومطرقة الهندوس .فاسفر هذا كله عن تأخر المسلمين فى مجالات الثقافة والاقتصاد والحياة الاجتماعية ولا نزال نلمح آثاره حتى اليوم .(٤)

إن الشاعر يتأثر بالبيئة التى يعيش فيها وبما يشاهد حوله من الحوادث والوقائع والأحداث التى تقع أمام عينيه .فيعبر عما يختلج فى قلبه وذهنه و نفسه من ارتياح أو بالعكس بأشعاره .إن الزمان الذى احتل فيه الانجليز بالهند وحكمها كان حادثة فظيعة قد تأثر الشعراء بما لقيت الهند وسكانها من تعسف وعدوان من قبل الانجليز المعتدين فقالوا أشعارا كثيرة فيما يتعلق باضطهاد الانجليز واعتدا ئهم ونظمو ا أبياتا تصور أوضاع ذلك العصر .قد ذكرت فى الفصل الأول الأشعار التى قالها الشعراء وهى تمثل الوضع السياسى لذلك العصر ثم ألقيت ضوء ا على الوضع الدينى وأتيت

على سبيل المثال بأشعار كانت لها علاقة به .

الشاعر يتأثر بحادثة أوبكارثة ويبدأ قرض الأشعار التى تتعلق بها ولكنه لا يكتفى بها بل يتناول الموضوعات الأخرى وينظمها فى أشعاره .كان هذا هو حال الشعراء الذين عاشوا فى ذلك العصر .إنهم نظموا أبياتا عديدة حول الموضوعات المتنوعة أذكر أشعارا متفرقة منها ما قال الشيخ انورشاه الكشميرى فى الفتنة المرزائية(٥)

صدع الصديع وصيحة بالوادى لمن اهتدى من حاضر أوباد
بالكاديانى ذلك الآخر الذى أمسى زعيم الكفر والالحاد
وأبان عن كفر ينوء بعصبة ويبوء بالأغلال و الأصفاد
رزء على دين النبى يهذه آخر فهل من راشد فى النادى
والله يهدى من يشاء لدينه ولمن يضل فما له من هاد

وله قصيدة تحتوى على ٣٠بيتا قالها فى مدح الشيخ الجليل رشيد أحمد الكنكوهى رحمه الله تعالى فيقول :(٦)

قفا يا صاحبى عن السفار بمرأى من عرار أو بهار
يسير بنشر ها نفحات أنس وريا عند محى من قطار
وقد عادت صباها من رباها بأنفاس يطيب بها الصحارى
فيسرى فى قلوب الصحب وجد بأطراف الحديث لدى اعتبار
لقد فرع الورى عملا وعلما مكارم ساعدت كرم النجار
أمام قدوة عدل أمين ونور مستبين كالنهار
ففيه حافظ علم شهير كصبح مستنير هدى سار
ففى التحديث رحلة كل راو وفى الاخبار عمدة كل قارى

وأصبح فى الورى صدراً وبدرا منيرا دارثا حلك التوارى

وأصبح مفرداً علما رفيعا كرفع المفرد العلم المنار

منها ماقال الشيخ الكبير العلامة فيض الحسن السهارنفورى من قصيدة تحتوى على ٥٥ بيتا . وهى فى ضمن الحرب التى دارت بين عبد الحميد ملك الدولة العثمانية وبين روسيا . مدح بها الملك وأصحابه بعض أشعاره يقارب أشعار الشعراء العرب القدامى فى الاسلوب .هو يقول :(٧)

مالى بذى الأرض من وال ولا واق ولا طبيب ولا آس ولا راق

ولا حميم ولا جار ولا سكن ولا نديم ولا كأس ولا ساق

حولى كثير من الأعداء همهم قتلى ومالى دون الله من واقى

قوم غلاظ شداد شيط من دمهم شراسة وعتوا فى سوء أخلاقى

عن آل عثمان سامى الطرف مبتسم الى الطعان شديد البأس مشتاق

هينون لينون لا يرمون فى خلق بسوءة وتراهم حسن أخلاق

بيض كرام لهم مجد ومكرمة غراء يثنى عليهم كل ملاق

لا يرغبون إذا نالوا منالهم فى المال والخيل والأحمال والناق

لابارك الله فى قوم طغوا وبغوا عليك ثم عتوا فى بعد آفاق

بغوا عليك فخابوا إذ لقيتهم بكل ضرب شديد الضرب مخراق

جاهدتهم واثقا بالله فانهزموا خوفا ومن قتلوا ألقوا باضلاق

إنا نحبك حبا لا يماثله ولا يدانيه شيئا حب عشاق

هذا ونرجوا لكم خيرا ونحمدكم بذكر ما شاء منكم ملء أشداق

وقال فضل حق الخير آبادى مرثية لصديقه مولانا فيض الله عندما سمع استشهاده:(٨)

ایاما لدهری بعد اسعاده عدا واعتدلی أدهی المصائب واعتدی

فکنا زمانا لا نخاف فراقنا مدی الدهر حتی قیل لن یتبددا

فلما افترقنا بعد طول اجتماعنا بلینا ببعد مالمدته مدی

فو الله ثم و الله لو أن مثله یفادی بمثلی کان نفسی له فدا

قتلت شهیدا عند ربك شاهدا وقد کنت مشهود الکمال محسدا

وقال محمد اعزاز علی الدیوبندی أشعارا فی رثاء الحافظ محمد أحمد ناظم دارالعلوم الدیوبندیة .قد سافر الی حیدر آباد وأصیب هنا بمرض تسبب له الموت بالغرابة.هو یقول :(۹)

نعی الناعون شیخا ذاحفاظ جلیلا ما جداً بالفضل أحری

نبیلا فاضلا شهما ذکیا مطیعا ربه نهیا و أمرا

صبور فی المصائب والرزایا وفی السراء کان یزید شکرا

أعتق علمه أسراء جهل سنی احسانه عبدا و حرا

شهیدا مات مغتربا غریبا فکلهم بحوار لدمع أجری

له جود حکاه الغیث طورا اذا استمطرته والبحر أخری

ولبی داعی الله الذی لا مرد له وان خدعا ومکرا

الشاعر الذی قد تأثر بمؤمرات الانجلیزالشنیعة ومساعیهم الخبیثة فیما یتعلق بالاحتلال هو عبد العزیز الدهلوی . انه قد لاحظ هذه الأوضاع المتنوعة وصورها بأشعاره .هو یقول :(۱۰)

ان هـــذا الفقـیر محفوظ عن شرور الزمان والأسقـام

یسـئل الله بعد کل صـلاة أن یعافیه فائض الأنعـام

ثم ان البـــلاد فـاسدة عن أيادى الغشوم والظـلام

غير خاف عليك ماصنعت قوم سكه كآية التوشـام

خفضوا كل قرية ومضوا يفتحون الحصون و الآطـام

ضيعوا امة من الأرواح قتلوا من أمة الأجسـام

والنصارى من الفرنج أتوا عرفوا بالوفاء وعى ذما م

ويريدون اقتطاع الملك من ذوى الأرض صاحبى الأقوام

ويريدون افتلاد المـال من ذوى المـال أولى الأنعـام

قد عدى الأمر عن حـدود أدب وتعـدى عن المـقـام كلام

المراجع:

		ص
١.كفاح المسلمين فى تحرير الهند	د/ عبد المنعم النمر	٢٨
٢.هندوستانى مسلمان	السيد ابوالحسن على الندوى	١٦٥
٣.المسلمون فى الهند	.....	٩١
٤.ابوالكلام آزاد : المصلح الدينى فى الهند	د/عبد المنعم النمر	٢٩/١
٥.نفحة العنبر	محمد يوسف البنورى	١٧٤
٦.نفس المصدر	.....	١٥٨-١٥٩
٧.نزهة الخواطر	السيد عبد الحى الحسنى	٣٩٠/٨-٣٩٢
٨.الثورة الهندية	فضل حق الخير آبادى	٦٧
٩.نفحة العرب	محمد اعزاز على الديوبندى	٢٩٧-٢٩٩
١٠.حيات ولى	محمد رحيم بخش	٣٣٥-٣٣٦

الفصل الرابع

في

النفوذ المحلي في الشعر العربي

يمكن أن نقسم الشعراء الهنود فى اللغة العربية الى ثلاثة أنواع .

النوع الأول: الشعراء الذين ولدوا بالدول العربية ونشأ وا بها ولكنهم هاجروا الى الهند لسبب أو آخر. شعرهم شعرعربى وتوجد فى أشعارهم أنواع الشعر كلها ومن العسير أن يتم الامتياز بين هولاء الشعراء والشعراء العرب فى انتقاء الالفاظ اللائقة واختيار التركيب النادرة والمعتقدات والتفكير وغيرها .وهم ابو عطاء السندى وابو ضلع السندى ومحمود بن الحسين كشاجم السندى وغيرهم .وقد ذكرابو تمام ابا عطا ء السندى فى كتابه "ديوان الحماسة ".(١)

النوع الثانى : الشعراء الذين ولدوا بالهند نشأ وا بها ولم تتم تربيتهم فى البلدان العربية ولكنهم مع ذلك تضلعوا فى العربية وأتقنوا فيها وقالوا أشعارا جيدة .وهولاء الشعراء عبد المقتدر الشريحى الكندى واحمد التانيسرى وغيرهما وتوجد أشعار بعضهم .

أما الشعراء من النوع الثالث فهم كأمثال الشعراء الذين ولدوا بالهند وعاشوا بها وكانوا يطالعو ن فى المعلقات السبع وديوان الحماسة و ديوان المتنبى وديوان حسان بن ثابت وغيرهم .واعتنقوا التراكيب والكلمات والأساليب العربية الأصيلة التى كان العرب يستخدمونها فى أشعارهم فظهرت المماثلة فى أشعارهم من البداية الى النهاية الى حد ما. ولكنهم مع ذلك لم يقدر وا على أن يأتوا فى أشعارهم بتلك الروعة والجمال ليواكب به أشعارهم موكب الشعراء العرب. وبالرغم من نبوغ الشعراء الهنود وبراعتهم فى اللغة العربية لم يتمتعوا بذلك الجو الملائم الذى كان يتمع به أهل اللغة وبالبيئة التى يتطلبها الشعر العربى وابتعدوا عن العرب واختلاطهم وعن التغيرات اللغوية والتعبيرات الحديثة التى كانت تحدث فى اللغة حسب الضرورة والاقتضاء .وعلى مر الزمان ولأجل عدم اختلاطهم بالعرب وتطور اللغة الفارسية

بالهند فى عصرهم غلبت العجمة فى أشعارهم وأساليبهم .ولو كانت لغة أشعارهم لغة عربية .ويمثل هذا النوع الشعراء كأمثال الشيخ غلام على آزاد البلكرامى والفيضى ومحمد باقر اكاه وأمير خسرو وغيرهم .

هنا أ ذكر بعض اشعارهم يدل على النفوذ المحلى الذى تسلل الى الشعر العربى .يقول غلام على آزاد البلكرامى:

أضفيرتان على بياض خدودها أو فى كتاب الحسن سلسلتان (١)

"كتاب الحسن " فى البيت الثانى تعبير فارسى ليس بعربى وهو نفوذ محلى .نفس الشاعريقول:

لله جبهتها المضيئة فى الدجى وهب الاله لها علو مكان

هى نصف بدر كامل لكنها تربو على القمرين فى اللمعان (٢)

"بدر كامل" فى البيت الأول من الشعر الثانى أيضا تعبير فارسى .ويقول المفتى محمد عباس اللكنوى :

قد استظل به الكائنات لائذة بباب دولته كالطيور للاوكار(٣)

استعمل الشاعر كلمة "الكائنات " بدلا من العالم .هذا اللفظ يستعمل فى العربية لمعنى آخر،يقول محمد باقر اكاه:

هو روح كل الكائنات فكيف لا يصبوالى امداده الأشياء(٤)

هذا الشاعر ايضا قد استعمل اللفظ "الكائنات " بدلا من العالم .ونفس الشاعر يقول:

يا من خيال خدودها فى مهجتى حرالجحيم وفى عيونى الماء(٥)

قد أتى الشاعر بلفظ "خيال " لاستخدام المعنى طبقا اللغة الفارسية .ويقول الميرزا غلام احمد القاديانى :

فاخرج كل حقدك من جنان وزك النفس من سم العناد(٦)

"سم العناد" ليس بتعبير عربى بل تعبير فارسى .وهو يقول :

فانظر الى خد ماتهم وثباتهم ودع العداء فى غصة وصلاء(٧)

قد استعمل الشاعر لفظ "غصة " فى معنى يستخدم باللغة الاردية ويقول محمد باقر اكاه:

لقد قامت الرسل فى بابه يرمون من فيضه منصبا(٨)

مع أن "فيض" و" منصب "" كليهما لفظان عربيان ولكن الشاعر قد استعملها لمعنى فارسى .ملك الشعراء الفيضى يقول :

عجيب غريب معجز أهل عالم صنيع بديع ما تحداه ذوالفم (٩)

"اهل عالم " تعبير فارسى .ويقول الفيضى فى موضع آخر!

يامن بغيض كامل خصصت من علمته ما لم يكن هو يعلم (١٠)

"فيض كامل " فى البيت الأول تعبير فارسى ،ويقول شاعر:

ثم الصلوة على المختار من مضر خبير البرية من باك ومتبسم (١١)

قد ترجم الشاعر اللفظين الفارسيين " خندان و گريان " الى العربية وهما باك ومتبسم.

لقد رأينا فى هذه الأشعار المذكورة أعلاها أن الشعراء قد استخدموا فيها تعبيرات لا توجد فى اللغة العربية الفصحى .وقد أتوا بها من أجل تأثرهم باللغة الفارسية وقرض الأشعار بتلك اللغة نفسها.

مع كل ذلك كانت شاعريتهم جديرة بالثناء والتقدير ولو لم يوجد اسلوب الشعراء العرب فى اشعارهم فله سبب ظاهر .أما النقص والعيوب فى اشعارهم فهذا لا يخص مع الشعراء الهنود فحسب بل ساء حال اللغة العربية فى البلدان العربية نفسها .ونجد

فيها ذكر المحدثين والقضاة والعلماء ولكن قلما تظهر اسماء الشعراء البارزين على صفحات الكتب الادبى.

المراجع:

١. عربى ادب مين هندوستان كا حصه	شمس تبريز خان	٥٧
٢. عربى ادبيات مين باك وهند كا حصه	د/ زبيد احمد	٢٤٩
٣. نفس المصدر		
٤. تاريخ عباس	عزيز اللكنوى	٢٤١
٥. النفحة العنبرية فى مدح خير البرية	محمد باقر آكاه	٤٦
٦. نفس المصدر		٤٥
٧. قصائد احمدية	مرزا غلام احمد القاديانى	٣٨
٨. نفس المصدر		٨٤
٩. النفحة العنبرية فى مدح خيرالبرية	محمد باقر آكاه	٦٢
١٠. سواطع الالهام	الفيضى	٧٣٨
١١. نفس المصدر		٧٣٩
١٢. القصيدة الشوقية	ص ١٢	

(نقلا عن هندوستان مين عربى شاعرى حامد على خان ٣٥٠)

الباب الثالث

في

أعلام الشعر

الفصل الأول

الشاه عبدالعزيز الدهلوى

حياته :

هو الشيخ عبد العزيز بن ولى الله بن عبدالرحيم الدهلوى. انه كان عالما قديرا ومحدثا كبيرا ومفسرا عظيما .ولد ليلة الخميس من اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١١٥٩هـ المصادفة سنة ١٧٧٦م .سماه ابوه بـ "عبد العزيز " وكان لقبه المؤرخ لمولده "غلام حليم " وهذا اللقب يدل على السنة التى ولد فيها .ولقبه سراج الهند ولقّبه بعض الناس " حجة الله ".(١)

لما بلغ الشاه عبدالعزيز الخامسة من عمره بدأ قراءة القرآن الكريم وحفظه بفترة قصيرة .(٢)وبعد ما فرغ من حفظ القرآن اعتنى بتعلم اللغة الفارسية حتى برع وصار أديبا قادرا فيها . ثم تلقى مبادئ العلوم المتداولة فى ذالك العصر من أبيه الكريم الذى كان عالما جليلا وبارعا فى العلوم الاسلامية فقرأ عليه بعض الكتب فى الحديث منها "المؤطا فى ضمن المسوى" و "مشكاة المصابيح " وسمع منه بعضها بقراءة أخيه الشيخ محمد منها . "الحصن الحصين " و"شمائل الترمذى " وبعضها بقراءة السيد غلام حسين المكى منها " صحيح البخارى " وهو من أوله الى كتاب الحج وسمع " جامع الترمذى " و" سنن أبى داؤد" بقراءة المولوى ظهور الله المرادآبادى وسمع بعضها من غيرهم .(٣)

ولما ناهز الشيخ السادسة عشر من عمره توفى أبوه .انه كان من أكبر أبنائه فوقعت على عاتقه مسئولية عيالة البيت وتربية إخوته الصغار الى جانب تكميل دراسة نفسه .من أجل وفاة أبيه فى حداثة سنه حلّت عليه داهية كبرى ولكنه لم تتزلزل همته ولم تفتر عزيمته حتى قام بأحسن تربية إخوته وواظب على دراسته وأكملها .واستفاد من أصحاب والده أجله كأمثال الشيخ نور الله البرهانوى والشيخ محمد أمين

الكاشمير ى وانتفع بهما ما فاته على أبيه من علوم حتى تذرى سنام الفضل وأطلع ثناياه .(٤)

وقد استفاد الشاه عبد العزيز من ابن خاله الشيخ محمد عاشق الفلتى وخواجه محمد أمين الى جانب الشيخ نورالله البرهانوى والشيخ محمد أمين الكاشميرى قد بذل هولاء العلماء العظام قصارى مجهوداتهم فى تدريسهم إياه وتحسين مؤهلاته العلمية ، والشاه عبد العزيز الدهلوى أيضا لم يال جهدا فى الاستزادة من معين العلوم والمعارف وفاق زملاء ه وفضلاء عصره فى علوم التفسير والحديث والفقه وأصوله وعلم الكلام والمنطق والفلسفة والشعر حتى فى جميع العلوم الدينية والعصرية ولا سيما فى علم الحديث الذى كان ميزة أسرته .(٥)

ويقول المولوى فقيرمحمد الجهلمى " إن الشاه عبدالعزيز بن الشيخ الأجل ولى الله المحدث الدهلوى كان استاذ الأساتذة وامام النقاد الجهابذة وبقية السلف وحجة الخلف وخاتم المفسرين والمحدثين ... وكان قبلة أنظار العلماء والمشايخ فى عصره وله براعة كاملة الى درجة لا يمكن بيانها فى جميع العلوم المتداولة وغير المتداولة سواء كانت العلوم المنقولة أو المعقولة .وكان يتميز عن معاصريه فى كثرة العلم وقوة الحفظ وفى الوعظ والانشاء والمناقشة مع المعاكسين .(٦)

وقد وهبه الله حظا كبيرا من الذكاء و الفطانة وكان وحيد العصر ونادرة الدهر ولم يكن له مثيل فى الفطانة والكياسة فى عصره . وأفاد عددا كبيرا من طلبة ذلك العصر الذين توجهوا اليه من جميع أنحاء الهند للا ستزادة منه .كما يقول المؤرخ الشهير عبدالحئى الحسنى " كان رحمه الله أحد أفراد الدنيا بفضله وآدابه وعلمه وذكائه وفهمه وسرعة حفظه . اشتغل بالدرس و الافادة وله خمس عشرة سنة فدرس وأفاد وتخرج عليه الفضلاء وقصده الطلبة من أغلب الأرجاء وتهافتوا عليه تهافت

الظمآن.(٧)

وقد استفاد من عبد العزيز الدهلوى إخوته الصغار: رفيع الدين المحدث الدهلوى وإمام المفسرين الشاه عبد القادر الدهلوى والشاه عبدالغنى الدهلوى رحمهم الله بالإضافة إلى مجموعة من العلماء بمن فيهم مولانا رشيد الدين الدهلوى ومولانا عبد الحئ بن هبة الله البدهانوى والمفتى الٰهى بخش الكاندهلوى والسيد قمرالدين السونى فتى (Sonepati) والشاه غلام على. قرأ اشيخ غلام على بن عبد اللطيف الدهلوى صحيح البخارى وبعضهم "الصحاح الستة".

كان الشاه عبد العزيز خطيبا مفوها وبارزا إلى جانب كونه مفسرا عظيما وبارعا فى العلوم المنقولة والمعقولة وعندما كان يلقى خطبة كان يتأثر بنفوذها قساة القلب الكبار. وكان الناس يأتونه من كل حدب وصوب للحضور فى إجتماع الوعظ.

وكان الشاه عبد العزيز الدهلوى طويل القامة' هزيل الجسم وأسمر اللون واسع العينين وكث اللحية. وتعلم فن الرمى والفروسية والموسيقى وبرع فى هذه الفنون. مع أنه كان بارعا فى الرمى والفروسية عندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره أصيب بالأمراض المعضلة المتنوعةنحو الجذام والمراق وسقاه الروافض سما ودلكوا سام أبرص على جسمه الذى أدى إلى إصابته بمرض البرص. ويقال إنه أصابه أربعة عشر مرضا مؤلما ويعبر عن هذا الألم والوجع فى قصيدة له ويقول:

أجرنى سيدى من ضيم سقم　　أشد علىّ من وقع الحسام

صبرت عليه حتى عيل صبرى　　وكاد يذيقنى طعم الحمام(٨)

ولكنه مع هذه الأمراض المفجعة كلها كان رجلا جريئا إلى جانب كونه لطيف الطبع وحسن المحاضرة وجميل المذاكرة وفصيح المنطق ومليح الكلام ولم يترك الدرس

والإفادة. عندما كان الإنجليز يحاولون إحتلالهم بالهند ويهاجمون على المدارس الإسلامية والمراكز الدينية ويركزون عنايتهم فى نشر الثقافة المسيحية فى الهند فيما بين سكانها ولاسيما فى الأمة المسلمة فأعلن الحرب ضدهم. وقال "إن هذه البلاد قد تحولت إلى دارالحرب منذ اليوم ووجب علينا أن نكافح الانجليز الغاصبين ونجاهدهم".(٩) ثم وضح الفرق بين دارالحرب ودارالاسلام ويقول: "المراد بدارالاسلام بلاد يجرى فيها حكم إمام المسلمين ويكون تحت قهره وبدارالحرب بلاد يجرى فيها أمر عظيمها ويكون تحت قهره".(١٠)

وقد أقلقه تعسف الإنجليز وفتنهم وأهدافهم التوسعية وعبر الشاه الدهلوى عن هذا القلق والإضطراب فى شعره هذا وصور أحسن تصوير للوضع آنذاك. ويقول:

إنى أرى الإفرنج أصحاب ثروة لقد أفسدوا ما بين دهلى وكابل.

كانت شخصية الشاه عبد العزيز الدهلوى ذات مكارم متنوعة وقد بلغ إلى ذروة العلم والكمال والمعارف، كان حاضر البديهة ولم يكن له مثيل فى هذا الأمر حتى قال عبد الحئ الحسنى: "إن الله تبارك وتعالى قد جمع فيه من صنوف الفضائل وشتاته التى فرقها بين أبناء عصره فى أرضه ما لو رآه الشاعر الذى يقول:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا لدى المجد حتى عدّ الف بواحد

استبان له مثل ضوء النهار أنه وإن كان عنده قد بالغ فيه فانه قد قصر(١١).

أما محمد محسن بن يحيى الترهتى فهو يقول فى شأنه "إنه قد بلغ من الكمال والشهرة بحيث ترى الناس فى مدن أقطار الهند يفتخرون باعتزائهم إليه بل بانسلاكهم فى سمط من ينتمى إلى أصحابه."(١٢)

ومن المعلوم أن الشاه عبد العزيز كان اكبر سنا من جميع إخوته فتحمل مسؤلية أبيه بعد وفاته على كتفه ونشّط حركته فيما يتعلق بإبادة المعتقدات الفاسدة

والتقاليد الباطلة وإصلاح المجتمع الإسلامى والربط بين الله وعباده. و وسع درس القرآن الذى كان أبوه يلقى على الناس ويفسر ركوعا من القرآن المجيد. عندما توفى الشاه ولى الله الدهلوى كان آخر دروسه: "إعدلوا هو أقرب للتقوى". المائدة ٨. ومن هناك بدأ الشاه عبد العزيز هذا العمل العظيم. وكانت الآية "إن اكرمكم عندالله اتقاكم" الحجرات ١٣ آخر دروسه.

وقد أسدى عبد العزيز المحدث الدهلوى الخدمات الثمينة إلى الحديث وعلومها بمؤلفاته. وقدترك آثارا كثيرة فى التفسير والحديث وأصوله والفقه والبلاغة وعلم الكلام. و من أشهر مصنفاته بالفارسية "فتح العزيز" هو تفسير للقرآن ومعروف بـ "تفسير عزيزى" فى مجلدين وقد صنفه إملاء عندما كان مصيبا بالأمراض و"تحفه اثنا عشرية" و "بستان المحدثين" هو فهرس كتب الحديث وتراجم أهلها و "عجالة نافعة" فى أصول الحديث و"تقرير دلبذير فى شرح عديم النظير ومجموعة للفتاوى. وبالعربية "ميزان البلاغة" فى علم البلاغة و "ميزان الكلام" فى علم الكلام و "السر الجليل فى مسألة التفضيل فى تفضيل الخلفاء وبعضهم على بعض و"سرالشهادتين" و "عزيز الإقتباس فى فضائل أخيار الناس" و "حواشى بدبع الميزان" و "تعليقات على المسوى من أحاديث المؤطا".

توفى الشاه المحدث عبد العزيز الدهلوى عن عمر يناهز ثمانين سنة فى عام ١٢٣٩ الهجرى المصادف سنة ١٨٢٣م وتم تدفينه فى جوار أبيه بمقبرة تسمى بـ "مهنديان" بدلهى.

لاريب فى أن الشاه عبد العزيز الدهلوى كان عالما كبيرا مع ذلك إنه كان أيضا شاعرا قديرا إلى جانب كونه مفسرا عظيما ومحدثا جليلا. وقد قال أشعارا كثيرة وقصائد عديدة. وربما كتب إلى أصدقائه وأعزته رسالة منظومة. منها ما كتب إلى

عمه الكريم الشاه أهل الله من رسالة منظومة تحتوى على ٣٠ بيتا هو يقول:(١٣)

سلام على مولى جسيم الفضائل كريم الورى حاوى فنون الفواضل

حماه اله العالمين عن الاذى وعن كل شر فى الخليقة نازل

وبعد فان العبد يحمد ربه على ماحماه عن صنوف الغوائل

لاغدو وأثواب النعيم ملابسى وامسى وايدى الطيبات حمائل

وإن زمانا ظلت فيه مسودا خلى من الخيرات ملاء الزلازل

فما الشغل فيه غير فسق وبدعة وما الناس الا كالجمال العباهل

وكذلك كتب رسالة منظومة ردا على رسالة من قبل الشيخ اليمنى الشروانى سنة ١٢٢٧ الهجرية ويقول:(١٤)

منى السلام الذى مازال منبعثا من المشوق إلى نفس يواليها

حبر له همة علوية جمعت كل الفضائل دانيها أو قاصيها

فلا يغادر فينا غير مكتسب ولافضائل إلا وهو حاويها

لازال يرفل فى ثواب العلى مرحا منحازة عنده الدنيا بما فيها

ويقول فى موضع آخر:(١٥)

ياسائر نحوبان الحى والأسل سلم على سادة الأوطان ثم قلى

مازلت فى بعدكم كالنار فى شعل والأرض فى كسل والماء فى ملل

أريد لمحة وصل استضئ بها فى ظلمة الهجر ضاقت دونها حيلى

ماالعيش إلا خيالات أوجهها إلى ذراكم لدى الأسحار والأصل

لعل إلمامك بالدار ثانية يدب منه نسيم البرء فى العلل

أرجو اللقاء بميعاد وعدت به والخلف فى الوعد منكم غير محتمل

قال الشاه عبد العزيز قصيدة مدح بها النبى إنه قد بدأ قصيدته بأشعار التشبيب

على غرار الشعراء العرب لاسيما أصحاب المعلقات السبع ثم يتحول إلى غرضه الحقيقى وهو مدح النبى ويقول:(١٦)

ألا ياعاذلى دم فى ملامى فانى لاأحول عن الغرام
فجفنى ساهر مادمت حيا وقلبى هائم والدمع هامى
فياريح الصبا عطفا و رفقا إلى ذاك الحمى بلّغ سلامى
وصرت ببعدكم كالعود جسمى على نار ودمعى فى إنسجام
وذكرك سيدى حرزى وحصنى آتيه به على الجيش اللهام
فمن لى بعد ما وهنت عظامى إذا اشتد البلاء سواك حامى
وإن أك ظالما عظمت ذنوبى فحبك سيدى ماحى الآثام
فقد أعطيت مالم يعط خلق عليك صلوة ربك بالسلام

ومن المعلوم أنه قد أصيب بأمراض مفجعة متنوعة فقد عبر عما أصابه من الأمراض المؤذية ومالحقه بسببها من أوجاع مؤلمة بأشعار بديعة من تلك القصيدة. وقدشبه شدة أمراضه بوقع الحسام فى كثرة الألم والأذى فيقول:(١٧)

أجرنى سيدى من ضيم سقم أشد على من وقع الحسام
صبرت عليه حتى عيل صبرى وكاد يذيقنى طعم الحمام
فمدحك رقيتى وشفاء دائى اذا ما خضت فى الحج السقام

وقد كتب الشاه عبد العزيز الدهلوى رسالة منظومة إلى عمه الشاه أهل الله وقد صور فيها إعتداء سكه(السيخ) و تعسفهم وتدميرهم ضد المسلمين أحسن تصوير . ونظم إضطهادهم وغشمهم فى أبيات جيدة . فيقول : (١٨)

جزى الله عنا قوم سكه ومرهت عقوبة شر عاجلا غير آجل
فقد قتلوا جمعا كثيرا من الورى وقد أوجعوا فى أهل شاء وجاهل

ولم يدعوا قوما مصونين عنهم وان واقعوهم بالذرى والكلاكل

لقد فسدت هذه الديار وقد خلت عن العدل حتى قلت بل كل قائل

فهل بعد هذا من معاذ لعائذ وهل من مغيث يتقى الله عادل

وقد علق الشاه الدهلوى على كتاب يسمى بـ 'مناقب حيدرية' للشيخ أحمد بن محمد الأنصارى اليمنى الشروانى فيقول : (١٩)

رأيت وريقات تدل تبشرها على فضل تحرير اليه يسند

وممدوحه فى ذلك الطرس حيدر سمى أمير المؤمنين المؤيد

له قدم فى النصر عالى وان أبوا عليه براهين الراعة تشهد

فى نظمه لطف وحسن سلامة يذل لديه كل لظم ويسجد

ومن أحسن شعره ايضا ماقاله فى شأن مدينة دلهى ووصفها بهاوفضلها على جميع مدن العالم سوى الحجاز والقدس والنجف.فانظرالأبيات التالية (٢٠)

يا من بسائل على دهلى ورفعتها على البلاد وما حازته من شرف

ان البلادأتاد وهى سيدة وانها درة والكل كالصدف

فاقت بلاد الورى عزا ومنقبة غير الحجازو غير القدس والنجف

بها مدارس لو طاف البصير بها لم تنفتح عينه الاعلى المصحف

كم مسجد زخرفت فيها منارته لو قابلته شموس السخر تنكسف

ولاغرو ان زينت الدنيا بزينتها كم من اب قد علا بابن ورى شرف

ولاشك أنه أشتهر كمفسر كبير ومحدث عظيم وقد ترك خلفه كتبا عديدة فى هذه الفنون ولكنه نظم أشعارا جيدة ولو أنه قلل فى هذا الفن .وهذه الابيات المذكورة اعلاه من القصيدة وعدة رسالة منظومة الى عمه الشاه أهل الله تشير الى انه كان له يد طولى فى قرض الاشعار . لأن كتابة الرسالة المنظومة ليس أمر سهل انما

يقدر على القيام بمثل هذه المهمة شاعر مطبوع . هذا يدل على مقدرته وبراعته الكاملة فى الشعر والنظم .

ويرى السيد ابوالحسن على الندوى " ان الاشعار العربية للشاه عبد العزيز الدهلوى ولاسيما القصيدة اللامية التى ذكرت فى ضمن ترجمته فى نزهة الخواطر ' نموذج رائع للعربية وتتميز هذه القصيدة عن قصيدة الشاه ولى الله الدهلوى. وانما تلوح هذه العربية التى تماثل عربية أهل اللغة فى أشعار تلميذه المفتى صدرالدين خان.(٢١)

على حد قول السيد الندوى " ان اشعار الشاه عبدالعزيز تشبه باشعار العرب فى الجودة والروعة وحسن التركيب ".(٢٢) ومهما يكن من أمر ان الشاه عبد العزيز كان منقطع النظير فى حسن التعبير فى عصره . ولأشعاره وقع فى النفوس ويتسرب الى القلوب . وشعره يريح الاسماع ولايمل الطباع .

المراجع:

١.نزهة الخواطر السيد عبد الحى الحسنى جـ٧ ص ٢٩٧

٢.نفس المصدر ..... جـ٧ ص ٢٩٧

٣.نفس المصدر ..... جـ٧ ص ٢٩٨

٤.اليانع الجنى فى أسانيد الشيخ عبد الغنى محمد محسن الترهتى ص ١٠٦

٥.الواح الصناديد عطاء الرحمن القاسمى ص ١٥٤

٦.حدائق الحنفية فقير محمد الجهلمى ص ٤٨٧

٧.نزهة الخواطر عبدالحئ الحسنى جـ٧ ص ٣٩٩

٨.نفس المصدر	.....	جـ٧	ص	٣٠٥
٩.الواح الصناديد	عطاء الرحمان القاسمى		ص	١٦٦
١٠.نفس المصدر	.....		ص	١٦٧
١١.حيات ولى	رحيم بخش الدهلوى		ص	٣٢٩
١٢.نزهة الخواطر	عبدالحئ الحسنى		ص	٣٠٢/٧
١٣.اليانع الجنى	محمد محسن الترهتى		ص	١٠٨
١٤.حيات ولى	رحيم بخش الدهلوى		ص	٣٢٨-٣٢٩
١٥.خزانة العلوم	السيد عبد الفتاح		ص	١٦١/٤
١٦.نزهة الخواطر	عبدالحئ الحسنى		ص	٣٠٤-٣٠٥
١٧.نفس المصدر	.....		ص	٣٠٥-٣٠٦
١٨.نفس المصدر	.....		ص	٣٠٥/٧
١٩.حيات ولى	رحيم بخش الدهلوى		ص	٣٢٩
٢٠.نفس المصدر	.....		ص	٣٣٧
٢١.نزهة الخواطر	عبدالحئ الحسنى		ص	٣٠٤
٢٢.تاريخ دعوت وعزيمت	ابوالحسن على الندوى		ص	٣٥٤

الفصل الثاني

المفتي محمد عباس اللكنوي

حياته :

كان الشيخ الفاضل المفتى محمد عباس بن على بن جعفر عالما متفننا وأديبا متضلعا وشاعرا متقنا وقد هاجر جده جعفربن أبى طالب بن نورالدين الموسوى من "تستر" الى بلاد الهند فى أواخر أيام النواب آصف الدولة واستوطن لكناؤ.نال مبلغا كبيرا من الحفاوة والتقدير من قبل الأمير سعادت على خان والنواب غازى الدين حيدر.

ولد محمد عباس فى آخر ربيع الأول سنة ١٢٢٤هـ بمدينة لكناؤ ونشأبها.وكانت مدينة لكناؤ عندئذ على أوج الإزدهار والرقى فى المجالات العلمية والثقافية كان محمد عباس مولعا بالدراسة والمطالعة منذ صباه وكان ذكيا فطينا طبعيا(١)اشتغل بالعلم على مولانا عبد القوى الحنفى وقرأ عليه الرسائل ا لمختصرة بالفارسية ثم اشتغل به على مولانا عبد القدوس الحنفى االكنوى وقرأ عليه رسائل النحو والصرف وغيرهما (٢).بعد ما فرغ من الكتب البدائية قرأ المصباح على الشيخ عبدالقدوس ، وتلمذ على مولانا قدرت على الحنفى وقرأ عليه المعقولات والمنقولات والحساب والفلسفة والمنطق والحكمة والهيئة والهندسة ولم يبلغ الرابعة عشر من عمره حتى فرغ من التحصيل .(٣)

اشتاق محمد عباس اللكنوى التسترى الى علم الطب وتوجه للحصول عليه الى الذين برعوا فيه منهم ميرزا غوث على والطبيب مرزا على خان اللكنوى فأخذ منهما وتطبب عليه ، ثم لازم السيد حسين بن دلدار على المجتهد وقرأعليه الفقه والحديث وبعض الكتب الدراسية وصحبه مدة طويلة ، وبعد استكمال الدراسة اشتغل بالدرس والافادة وولى التدريس فى المدرسة السلطانية استغرقت هذه الخدمة

ثلاث سنوات ثم تولى منصب الافتاء فى دار الافتاء التابعة لهيئة الوزارة سنة ١٢٦١هـ وظل على هذه الخدمة مدة طويلة .

سافر محمد عباس التسترى الى مدينة كالكوته سنة ١٨٥٨هـ ولكن الجو لم يوافقه فرجع الى لكناؤ ولم يلبث بها الا قليلا حتى زار كالكوته مرة أخرى سنة ١٨٦٤هـ فلقى جانبا كبيرا من الحفاوة والكرامة من قبل واجد على الشاه آخر ملوك أوده ولقبه بتاج العلماء وافتخار الفضلاء فأقام بها مدة ثم رجع بعد وفاته الى لكناؤ وانصرف الى الدرس والافادة والتاليف واستفاد منه كثير من الناس فى الأدب والانشاء من الشيعة وأهل السنة كليهما .(٤)

وكان الشيخ التسترى بارعا فى الأدب والانشاء وقرض الشعر باللغتين الفارسية والعربية حافل القريحة ، حاضر البديهة ، وكان من المؤلفين المكثرين يكاد يبلغ عدد مؤلفاته مابين صغير وكبير الى مأة وخمسين .(٥)

ومن أهم مؤلفاته وأشهرها "من وسلوى"وديوان الشعر سماه بـ"رطب العرب" و"منابر الاسلام "يحتوى هذا الكتاب على خطبه ومواعظه فى اسلوب مسجع وأنيق و"شمع المجالس" هو مجموعة قصائده الفارسية وفيها قصيدة عربية طويلة تستغرق حوالى تسعين صفحة مدح بها السيد حسين رضى الله عنه و"القصيدة العلوية " و"معراج المؤمنين " فى مجلدين فى الطهارة والصلوة و"الظل الممدود" فى الانشاء العربى والانشاء الفارسى و"أجناس الجناس" يشتمل على ألفين بيت على وجه التقريب وكل بيت منه مرصع بنوع من التجنيس وله غير ذلك من الؤلفات .ومن شعره قوله أجناس الجناس :(٦)

لطفت لنا وانزلت الكتابا وتغفر أن يكن ذو الشرك تابا

هو المولى ونحن له عباد ومن سلكوا خلاف الشرع بادوا

يكرم بالعطايا من أتاه ومن يجحد بنعمته فتاهوا

الجناس: هو أن يتشابه لفظان من الفاظ الجملة أو الشعر فى منطوقهما.فان تشابهت الحروف فى اللفظين تشابها تاما قيل له الجناس التام.(٧)

نحو هو المولى ونحن له عباد ومن سلكوا خلاف الشرع بادوا

نحن نرى أن فى نهاية البيت الأول لفظ "عباد" وفى الثانى "بادوا"وقبله لفظ "الشرع" لونلحق "ع" من اللفظ "الشرع" بلفظ "بادوا" ستكون كلمة "عباد" وكلمة "ع بادوا" متشابهتين فى المنطوق.

يبدو من الآثار الأدبية للمفتى محمد عباس التسترى اللكنوى أنه كان له مقدرة كاملة على النظم والنثر كليهما وبرع فى النثر وقرض الأشعار باللغات الثلاث: الاردية والفارسية والعربية على حد سواء. يمتاز اسلوبه بجزالة الألفاظ وفخامة المعانى والبراعة فى التشبيهات والإنافة فى الاستعارات وتضمين الألفاظ والمعانى القرآنية إلا أنه مثقل بالصنائع اللفظية ومن نموذج نثره قوله فى الظل الممدود:

"الحمد لله الودود والصلاة على صاحب المقام المحمود، وآله شفعاء اليوم الموعود وبعد فهذا ظل ممدود وظلح منضود، جمعت فيه شتات ماصدر عنى فى أوقات وحالات عند صدور أو ورود، أو قيام أو قعود من النثر والنظم وحلّ العقود مع الإعتراف بما فى قريحتى من الجمود والخمود وهو محتو على ستة جدود والله ولى الخير والجود".(٨)

وأماشعره فله نوطة فى القلب خاصة ماجاء منه فى الذكر والزهد والتذكير بالموت فمن هذا النوع من شعره قوله:(٩)

أتتنا منايانا على حين غـفـلة وقد طالما كنا نخوض ونلعب

فقيل لنـا قوموا سراعـا ساروا فسرنا وما غير الجنائز مركب

فساروا بنا سيرا إلى دار وحشة وظلماء ما فيها سراج وكوكب
على سطحهابول الكلاب و خرؤها وفى جوفها غل ودود وعقرب
وكم ذات خصر ضامر تحت صخرة لها أعين مسود وكف مخصب

أشعاره:

قال المفتى محمد عباس التسترى أشعارا كثيرة فى كل صنف من أصناف الشعر وقد تم طبع ديوان عبربى له وتوجد نماذج عديدة لجميع أصناف الشعر فى الكتاب "تاريخ عباس" نحو المثلث والمخمس والمسدس والمعشر وغيرها. ومن القاء النظرة عليها والمطالعة فيها يظهر أن المفتى عباس كان شاعرا وحيدا وأديبا منفردا فى عصره ولم يكن له ندّ فى مجال الشعر فى عصره.

قال الشيخ التسترى قصيدة فى الثناء على رب السمٰوات والأرض والتسليم على سيد الأنبياء. هذه القصيدة تشتمل على ٦٩ بيتا وهى أول قصيدة فى ديوانه العربى سماه بـ "رطب العرب" إنه يقول فى الثناء والحمد:(١٠)

هو الله لايحصى عليه ثناء ويعجز عن إدراكه العرفاء
عليم حكيم صانع متقدس يصور فى الآجام كيف يشاء
إلهى فخلص نيتى فيك حيث لا لايكون مرادى سمعة ورياء
فكل رجاء ليس دونك خائب وماخاب للراجين منك رجاء
وكل عويل إن رضيت فنعمة وكل نشيد إن غضبت بكاء
وكل مساء فيه ذكرك نير وكل صباح ماذكرت مساء
وليس لذى ملك سواك تأبد وليس لملك أنت فيه فناء
حميد مجيد سرمدى مهيمن له ملكوت دائم وبقاء
فسبحانه من خالق متحمد له من قديم الكبرياء رداء

فى البيت الثانى من الشعر الآخير تضمين لحديث النبى صلى الله عليه وسلم " الكبرياء ردائى " أو كما قال عليه الصلوةو السلام .ويقول فى نعت النبى :

محـمد المبعوث للناس رحمة ... له كلما فى العالمين فداء
سراج منير لستضىء الـورى ... وعن نوره فى الكائنات سناء
حبيب عدو الله من لا يحبه ... طبيب به للعالمين شفاء
وصلى عليه الله من فوق عرشه ... ومنه عليه فى الكتاب ثناء
وأسرى به ليلا الى العرش فاعلا ... فوافاه من دون الحجاب نداء
قد انشق من اشراقه القمر المنير ... لما اعتراه حيرة و حياء
على قلبه الرحمان أنزل مصحفا ... مجيدا له قد أذعن البلغاء
فقال وما آتاكم فاعملوا به ... ما عنه ينهاكم فعنه انتهاء
ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته ... فيحبط أعمال الذين أساءوا (١١)

وقال محمد عباس أشعارا تتعلق بالحادثة التى -دثت له وهى أن رجلا كان صديقا له وصحبه مدة طويلة ثم غضب عليه وأراد اغتياله فهجاه شر هجاء بهذه الأبيات فيقول :

بليت بشر زنجى شـقى ... أليف الغدر ليس له وفاء
كذوب غاشم شر البـرايا ... بذى لا يقارب الحياء
جهول ناقض للعهـد غـدرا ... تمـاثله من النـاس النسـاء
عدو لا يخـاف الله فينا ... شرير حـاذرته الأوليـاء
لئيم من هجـاه أتى بمـدح ... ومن يمدح فهو له هجـاء
هو الشاكى السلاح له سهام ... ومالى جنة الا الدعـاء
ألم يعلم بأن الموت آت ... وأن العمر ليس له بقاء

أريد حياته ويريد قتلى ويابى الله الا مايشاء (١٢)

وقال منظومة فى صديق له وقع بينه وبين محمد عباس فراق وتمثل ذلك الصديق يوما فى الرؤيا متعذرا اليه فطار الشيخ المفتى فرحا برؤيته حتى استيقظ من النوم ولكن صديقه غاب عنه عندإستيقاظه فتأسف تأسفا شديدا ويعبر عن هذا الأسف ويقول :

رأيتك فى المنام وأنت ناء كأنك قد رجعت الى الوفاء

تعانقنى على ندم و عذر لما قد كان منك من الجفاء

فأيقظنى السرور وزاد غمى بيقظتى التى فيها عناء

فليلى كان أنور من نهارى وصبحى صار أكدر من مساوى(١٣)

وله نظم لطيف فى معنى طريف فيقول :

ان الأمراء قد أصيبوا بالفقر وشأنهم عجيب

ضنوا بنعيمهم وظنوا ان النعماء لا تغيب

الدهر يبيد ما حبا هم والمرء ببخلهم يخيب

كالاخوة يحجبون سهما للأم وما لهم نصيب (١٤)

ومن بديع شعره فى معنى لطيف ،قوله :

جب فى جباية كنز العلم أفاقا فمن تعلم نال العز ان فاقا

المال يسرق و الانفاق ينقصه والعلم يشرق لو انفقت انفاقا(١٥)

وقال محمد عباس قصيدة يفتخر بها ويعتز بنفسه وبشعره ويقول هو حسان الهند .ومن المعلوم أن السيد غلام على آزاد البلكرامى قد لقب بـ "حسان الهند " فيقول :

يامن له الذوق بالأشعار والخطب عباس بالهند كالحسان فى العرب

فى نظمه حكم لم يبد ها قلم　　فى نثره كلم أحلى من الضرب

ديوانه رطب أغصانه أدب　　أوراقه ذهب يفضى الى العجب

الوجد من شعره والشعر من فكره　　كالسكر من خمره والخمر من العنب

الدهر يوحشنى والشعر يؤنسنى　　والله يحرسنى من شر كل غبى(١٦)

وقال قصيدة فى الصبابة ،ومنها :(١٧)

يشيب الزمان ويفنى القرون　　وما كنت فيه ففيه أكون

فؤاد عليل وحبسم كليل　　وحزن طويل ودمع هتون

طلبتم فقود القلب برفق　　وهبنا على شرط أن لا تخونوا

أحب عدو ا تسمى بخلّ　　وما ذالك الحب إلا جنون

رمانى زمانى بسهم البلايا　　ومالى عند الصبر حصن حصين

كلام فصيح ولفظ مليح　　أعباس أحسنت لولا المجون

قد قال المفتى محمد عباس التسترى اللكنوى قصائد عديدة وأشعارا كثيرة فى جميع أصنافه : الذم والهجاء والمدح والثناء والتأبين والرثاء وغير ها من الموضوعات وكذلك قال أشعارا فى المثلث والمخمس والمسدس والمعشر والمستزاد والتضمين وغيرها .وقد تناول موضوعا بسيطا و بث فيها روحا من قدرته على قرض الشعر ومن تلك الموضوعات : النسيان والدوران والغيم والمطر والفقر والغناء والحمى والشيب وأذكر على سيل المثال أشعارا قالها فى المشيب .يقول :

خليلى قد ولى الشباب حبيبا　　وأورث حزنا دائما ونحيبا

يود الفتى لو أن يعمر وهو لا　　يود على طول الحياة مشيبا

وكيف يطول العمر من غير شيبة　　وهل من قضيب يستديم رطيبا

فان كان ذو شيب غضاضة　　فبالدمع يسقى ذرعة ليطيبا

ولا شیء فی الدنیا یدوم وراءه سوی شعر عباس تراه عجیبا (١٨)

قد لاحظنا نماذج من أشعاره .انه قد أتی فی شعره ونثره کلیهما بتعبیرات بلیغة وتشبیهات أنیقة واستعارات بدیعة .وله اسلوب رائق وافی أشعاره روعة وسلامة لا سیما عندما یفتخر ویعتز بشی کما رأینا فی قصیدة قالها فی شأن نفسه وادعی فیها بأنه حسان الهند .لونلقی نظرة علی آثاره الأدبیة والعلیمة نجد أنه کان شاعرا مطبوعا وحاضر البدیهة ووحید العصر وقد تفنن فی قرض الشعر فی عصره .

المراجع:

		ص
١.عربی ادب میں اوده کا حصه .	د.مسعود انورالعلوی	١٨٠
٢.نزهة الخواطر	عبد الحیء الحسنی	٢٢٤/٨-٢٢٥
٣.تاریخ عباس	مرزا محمد عزیز اللکنوی	٣٢٤
٤.عربی ادب میں اوده کا حصه	د/ مسعود انور علوی	١٨١
٥.نزهة الخواطر	عبدالحی الحسنی	٢٢٥/٨
٦.الثقافة الاسلامیة فی الهند	.....	٤٨-٤٩
٧.الجدید فی الأدب العربی	حنا الفاخوری	١٠٠/٤
٨.حرکة التالیف باللغة العربیة فی اقلیم الشمالی الهندی	د/جمیل احمد	٣٩١
٩.نفس المصدر	.....	٣٩٣
١٠.رطب العرب	المفتی محمد عباس	٢-٣
١١.نفس المصدر	.....	٤
١٢.نفس المصدر	.....	١٥
١٣.نفس المصدر	.....	١٩

١٤.نفس المصدر	.....	٣٠
١٥.تاريخ عباس	مرزا محمد هادى عزيز اللكنوى	٢٤٨
١٦.رطب العرب	مفتى محمد عباس	٤٧
١٧.رطب العرب	مفتى محمد عباس	٢٥٣
١٨.نفس المصدر	.....	٤٠

الفصل الثالث

ذوالفقار علی الدیوبندی

حياته :

هو ذوالفقار على بن فتح على الديوبندى.يعتبر أحد من علماء الهند الذين ذاعت سمعتهم فى مختلف العلوم والفنون لافى داخل الهند فحسب بل فى خارجها أيضا . ولد الشيخ ذوالفقار على ببلدة ديوبند فى سنة ١٢٤٧هـ المصادفة سنة ١٨٣١م.ونشأ بها ، وقد تلقى الدراسات الابتدائية أولا من علماء تلك البلدة ثم انتقل منها الى دلهى للاستزادة من معينها العلمى ، وقرأ الكتب الدراسية على الشيخ مملوك على النانوتوى والمفتى صدر الدين المتلقب بـ"آزرده" وأخذ منها حتى امتاز فى علم المعانى وعلم البيان والنحو وغيرها من العلوم وتميز عن زملائه فى ذالك العصر وبرع فى قرض الشعر.

لما أكمل دراسته العليا إختار لنفسه وظيفة التدريس وأصبح مدرسا بكلية بريلى ثم اشتغل الى المناصب الحكومية فى ادارة التعليم حتى مفتشا للمدارس الابتدائية من قبل الحكومة . ودام على تلك الوظيفة الهامة لبضع سنوات ثم تركها الى التدريس وبدأ يعلم فى دارالعلوم بديوبند حتى أصبح شيخ الأدب لدارالعلوم وأسدى خدماته العلمية والادبية اليها وأنشا جيلا نشيطا خلال تدريسه بها .(١)

كان ذوالفقار على الديوبندى من الذين قد أحسو ا بالاحتياج الى قيام المدرسة الدينية التى ستذود هجمات الانجليز الغاشمة عن الثقافة الإسلامية وتحول بين نشر الثقافة المسيحية فيما بين الهنود ولا سيما فى المسلمين فقد اشترك فى تأسيس دارالعلوم بديوبند سنة ١٨٦٦م.

قد ترك الشيخ ذوالفقار على آثاراً أدبية خالدة بعده .من أشهر ها ما شرحه من قصائد الشعراء العرب ودواوينهم وعلق عليهم بالاردية منها "التعليقات على سبع

المعلقا ت " التى طبعت من المطبعة المجتبائية بدلهى و" ارشاد الى بانت سعاد" وهو شرح للقصيدة المعروفة بـ"قصيدة البردة " التى قالها كعب بن زهير.وطبع من نفس المطبعة وشرح "عطر الوردة فى قصيدة البردة " قائلها حسن البوصيرى. بالاضافة الى شروح هذه القصائد الشهيرة انه قد شرح " ديوان الحماسة " و" ديوان المتنبى " وله كتاب فى علم البلاغة ألفه باللغة الاردية .وتوفى الشيخ الديوبندى سنة ١٩٠٤م عن عمر يناهز ٧٣ عاما .

كان ذوالفقار على الديوبندى فريد عصره ونادر دهره . ولم يكن له مثيل فى علم البيان وفى علم المعانى والنحو والنظم .انه لم يشتهر فى شرح القصائد العربية للشعراء العرب والتعليق عليها فحسب بل قرض أشعارا عديدة ونظم أبياتا بديعة باللغة العربية أيضا .هذا يدل على قدرته الموفورة وبراعته الكاملة فى قرض الشعر .وتتلألأ هذه البراعة فى أشعاره وقد تناول فيها جميع أصنافها التى كانت مألوفة لدى الشعراء الهنود فى ذالك العصر نحو المراثى والقصائد .وكانت هذه القصائد تشتمل على الموضوعات المختلفة .ويقول الدكتور زبير أحمد الفاروقى " وكانت القصائد تحتوى على الحمد والمناجاة ومدح النبى وما يتصل به والمدح والوصف والترحيب والتهنئة والموعظ والحكم والموضوعات المتفرقة .(٢)

أشعاره :

من أشعاره ماقاله من قصيدة مدح بها السلطان عبد الحميد الثانى ملك الدولة العثمانية .هذه القصيدة تحتوى على ٥٣ بيتا .بدأ القصيدة بالتشبيب على طريقة الشعراء القدامى وله أسلوب رائق ويقول :

يا قاسى القلب يامن لحّ فى عذلى اليك عنى فانى عنك فى شغل
وكيف تعرف حال المستهام أيا من لم تصبه سهام الأمين النجل

سفاكة و حياة العاشقين بها فتاكة وهى مع ذا مرهم العلل

هيفاء ضامرة لعساء غادرة بيضاء ساحرة بالغنج والكحل

كالشمس تبدو جهارا غير خافية و لا تسير بالأستار و الكلل

ثم تحول الى غرضه الحقيقى وهو مدح السلطان عبد الحميد ويقول(٣)

عبد الحميد أمان الخائفين مبيـــــد الظـــالمين سديد القول والعمـــل

العادل الباذل المرهوب سطوته فى الجود كالبحر بل كالعارض الهطل

غوث الورى خادم الحرمين معتصم المـــكروب غيث النـــدى يهمى بلا طلل

و مدح فى نفس القصيدةآل عثمان الى جانب مدح ملك الدولة وهو يقول :(٤)

أبناء حرب قتال العلج بغيتهم أساد حرب لهم غاب من الأسل

الخائضون غمارالموت من طرب و القاهرون على الاقبال والبسل

يا آل عثمان ويا فخر الكرام ويا خير الأنام لأنتم منتهى أملى

جزاكم ربكم خير الجزاء عن الا سلام اذ قد نصرتم سيد الرسل

أبقا كم الله فى عز و فى شرف و فى علو و فى مجد و فى زعل

وقال قصيدة أخرى مدح بها مؤسس دارالعلوم بديوبند محمد قاسم النانوتوى فهو يقول :(٥)

حتام تشغل بالدنيا عن الدين أما ترى أزمة حلت بقارون

وكيف تعلو علو النار عن سفه فان أصلك من ماء ومن طين

ولازم العلم و العلماء مجتهدا يعيذك الله من شرّ الشياطين

العلم علق نفيس يستضاء به فاطلب ولو كان هذا العلم بالصين

ان ترد أن يصير الحق متضحا فاستفت صاح امام الحق والدين

كهف الورى قاسم الخيرات جامعها من فاق أنفاسه روض الرياحين

وقال قصيدة وصف فيها الأنبج ، وعدّه أطيب الثمار وألذ الفواكه طعما ولا شك فى كونه لذيذا .انه قد أتى بتعبيرات حلوة فى وصف هذه الفاكهة الشهية .وقد تفنن فى وصفه .وتحتوى هذه القصيدة على خمسة وعشرين بيتا .منها :(٦)

إن كنت تبغى أطيب اللذات فعليك صاح بأنبه الثمرات

فى حسن مرأى فى نباهة سيرة فى لطف ذات فى سمو صفات

من طعمها فى كل قلب شهوة فكأنها مجموعة الشهوات

بالجامعية فاقت الأثمار كالـ إنسان فاق جميع الحيوانات

ولئن يلمك اللائمون فقل لهم الإضطرار يبيح محظورات

قد اتضح لنا بالأشعار والأبيات المذكورة أن ذوالفقار على الديوبندى كان شاعرا قديرا وأكثر فى قرض الشعر من جميع أصنافه .وقال بعض الأشعار الذى لم يعنونه .وهو عندما اقترب اليه بعض أصدقائه وتضرعوا اليه أن يكتب شرحا لديوان المتنبى .انه رفض هذا المقترح فى أول وهلة واعتذر اليهم ثم أجاب ارادتهم وقام لمطالبهم فيما بعد وتهيأ لهذه المهمة الجبارة للتجنب عن تكسير قلوبهم وتكدير خواطرهم .وقال أبياتا بهذه المناسبة .منها:(٧)

ومن مذهبى ألا أخيب راجيا فلا عذر لى فى أن أجيب المناديا

فقمت لتسويد الكتاب مشمرا و رمت لتحرير المطالب ساعيا

بماذا أباهى إننى لست كاتبا فصيحا و من يجيد القوافيا

و أرجو من النظّار أن ينظروا الى صنيعى بعينى من يرانى راضيا

فعين الرضا من كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

فى النهاية أذكر أشعارا قالها الشيخ الديوبندى فى مدح النبىﷺ و الحقها بالكتاب"عطر الوردة فى شرح البردة" . و أجاد فى مدحه. منها:(٨)

ما مثل أحمد فى الوجود كريما كهف الورى بالمؤمنين رحيما

لنجاتنا يوم النشور زعيما من قال فيه إلهنا تعظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

من أخجل القمرين نور جماله وأذل جبار العدى بجلاله

فاق الأنام بفضـــله و كماله حسنت جميع خصاله وفعاله

صلوا عليه وسلموا تسليما

أسرى الاله به فنال مكرما من قاب قوسين المحل الأعظما

وبسره أوحى اليه وسلما و حباه نعمة قربه و تكلما

صلوا عليه وسلموا تسليما

هذه هى بعض النماذج من الأشعار والأبيات التى قرضها الشيخ ذو الفقار على الديوبندى فى قصائد مختلفة .ولا شك فى أنها قليلة ولكننا من خلالها نتطلع الى مقدرته البالغة على قرض الأشعار . انه قد تناول موضوعا بسيطا لكنه نفخ فيه روحا ببراعته وأسلوبه الرصين كما رأينا فى القصيدة التى نظمها فى شأن الأنبج الذى يعتبر أحلى الثمار لا فى داخل الهند فحسب بل فى خارجها أيضا .وقد أحاد فى وصفه.

المراجع: ص

١.نزهة الخواطر السيد عبد الحى الحسنى جـ ٨/١٥٢

٢. مساهمةدار العلوم بديوبند د/ زبير احمد الفاروقى ٩٤.٩٣

٣. نزهة الخواطر السيد عبد الحئ الحسنى جـ ٨ / ٥٣-١٥٤

٤. نفس المصدر ..... جـ ٨/ ٥٥-١٥٨

٥. مساهمةدار العلوم بديوبند	د/ زبير احمد الفاروقى	١٢٢
٦.الهدية السنية فى ذكر دارالعلوم الديوبندية	ذوالفقار على الديوبندى	١٠-١١
٧.مساهمةدار العلوم بديوبند	د/زبير احمد الفاروقى	١٣٤
٨.عطر الوردة فى شرح البردة	ذوالفقار على الديوبندى	١٠٦

الخـــــــاتمـــــــة

إن اللغة العربية لم تكن لغة رسميةفى الهند قط الا فى عصر محمد بن قاسم منذ غزوته حتى بداية عصر السلاطين .وكانت العربية لغة رسمية لبعض المناطق الخاصة نحو السند وملتان .وفى غيرها من المناطق كانت تنطق لغات عديدة أخرى .وبرز فى هذه المناطق شعراء عديدة قد نظموا قصائد شهيرة بالعربية ولكنها كانت تدور حول موضوع معين نحو مدح الملوك والسلاطين ، أو القصائدالتى كانت تتعلق بالإسلام أو الدين وقلما نجد أن الشاعر قال قصيدة أو أبياتا تتناول الأوضاع الراهنة فى ذلك العصر أو عبر عما كان يخالج فى نفسه أو فى قلبه من الفرح والانبساط أو الهم والحزن .

أما فى عصر الدولة المغولية فتغيرت الأحوال والأوضاع وأصبحت الفارسية لغة رسمية للدولة .وكان الملوك ينطقونها ويستخدمونها فى أمورهم وشؤونهم كلها ويقومون بأعمالهم اللازمة وأوامرهم الجبارة بهذه اللغة.وكانت عنايتهم البالغة بالفارسية وعليه لم تلق الأشعار العربية بالهند حفاوة لائقة من قبل السلاطين والملوك على الرغم من كله ظهرت أشعار كثيرة لايستهان بها فى اللغة العربية .ولكنها أيضا لم يكن تختلف عما كان من الأشعار فى العصور الماضية من حيث الأسلوب والموضوع لأن معظمها كان أشعارا دينية أو فى مدح الملوك المغولى الحاكم عندئذ ثم أخذ العصر المغولى فى الاندثار والانهيار وضعف الدولة المغولية شيئا فشيئا بعد الامبراطورية أونغ زيب وارتقى الى عرش المملكة ملوك ضعاف لم يكن فى وسعهم أن يسودوا البلاد فظهرت دول عديدة .وتصارعت الدول الغربية فى الاستيلاء على بلادالهند وتغلبت بريطانيا العظمى على كلها واحتلت بالهند .فلما استولى الانجليز على الهند سنة ١٨٥٧م بدأوا إشاعة الثقافةالغربية ونشر التعاليم المسيحية واستهدفوا

الى ابادة الثقافة الهندية عامة والثقافة الاسلامية خاصة لأنهم كانوا يعتبرونها عقبة وعرقلة فى طريقهم الى ارساء حكومتهم ،فاقلقت تصرفا تهم هذه الهنود ولا سيما المسلمين فقاموا لمقاومة والكفاح لتحرير الهند من أيدى المستعمرين .ومن المعلوم أن الشاعر يكون أكثر عاطفة من غيره وسريع التأثر بالأوضاع فى جواره فظهر من بينهم كبار الشعراء الذين تأثروا بما حوله من أوضاع معادية .وقد شحذت هذه الأوضاع المعادية قريحتهم فعبروا عما نتج من أجل هذه السيطرة الغاشمة من قلق واضطراب وقالوا أشعارا كثيرة ضد الاستعمار الانجليزى وعلى رأسهم الشاه عبد العزيز الدهلوى وفضل حق الخير آبادى وذوالفقار على الديوبندى وغيرهم من الشعراء.انهم قد قرضوا أشعارا فيما يتعلق بعدوان الانجليز واعتداء اتهم الى جانب الوصف والمدح والقصائد التى تتناول الموضوعات الاجتماعية والدينية والسياسية وغيرها وقد أجادوا فيها ربما يكون من العسير أن تميز أساليبهم وبين أساليب الشعراء العرب القدامى .

وجدير بالذكر أن اللغة الفارسية لم تكن لغة رسمية فى العصر البريطانى ولكنها مع ذلك كانت على ذروة الازدهار والتطور ومحببة لدى الهنود حتى عامة الناس كانت تتعلمها وتدرسها الى جانب المثقفين .فغلبت العجمة على أشعار الشعراء واستخدموا التعبيرات الفارسية فى أشعارهم كما قال غلام آزاد البلكرامى:

أضفيرتان على بياض خدودها　　أو فى كتاب الحسن سلسلتان

قد استعمل الشاعر فى البيت الثانى " كتاب الحسن "هو تعبير فارسى .

وكذلك يقول محمد باقر اكاه :

لقد قامت الرسل فى بابه　　يرومون من فيضه منصبا

مع أن " فيض " و"منصب" كليهما لفظا ن عربيان ولكن الشاعر قد استعملهما

طبقا لمعنى فارسى .

عندما نلقى نظرة على الأشعار العربية الحديثة نجد أنها تختلف عن الأشعار فى العصور المختلفة الماضية . وسبب ذلك أن الشعراء القدامى كانوا يمدحون الملوك والسلاطين بأشعارهم وكانوا يعتزون بمجد القبيلة ويفتخرون بعظمتها وسيادتها ربما تتطلب هذه المفاخرة الى الكذب ولا تنبع الأحاسيس والانطباعات من أعماق القلب. أما شعراء العصر الحديث فانهم كانوا يعبرون عما كانت تختلج فى نفوسهم وقلوبهم من المشاعر والانفعالات الصادقة والأحزان والهموم والأفراح وما الى ذلك. حتى صور هولاء الشعراء كل مخترعات حديثة وبديعة بأشعارهم الرائعة لأنهم كانوا لا يقومون الأشعار وينظمون الأبيات لكى يتكسبوا بها الأموال الباهضة ويحصلوا من أجلها على الجوائز الفخمة من السلاطين و ينالوا حفاوة من الملوك فى البلاط ،نفس الفكرة كانت تسود فى أشعارالشعراء الهنود.

المـــراجع والمصـــادر

الكتب العربية :

١ .ابوالحسن على الحسنى الندوى :الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية .
دارالندوة للتوزيع لبنان

٢ .أحمد أمين زعماء الاصلاح

٣ .حنا الفاخورى الجديد فى العربى بيروت

٤ .ذوالفقار على الديوبندى عطر الوردة فى قصيدة البردة
المطبعة المجتبائية. ١٩١١م

٥ .زبير أحمد الفاروقى الدكتور مساهمة دارالعلوم بديوبند
اورا برنترس دلهى الجديدة ١٩٩٠.

٦ .عبدالحى الحسنى الثقافة الاسلامية فى الهند
دمشق ١٩٥٨م

٧ .عبدالحى الحسنى نزهة الخواطر
مجلس دائرة المعارف العثمانية
حيدرآباد. ١٩٦٣م

٨ .عبدالمنعم النمرالدكتور كفاح المسلمين فى تحرير الهند
مكتبة وهبة مصر ١٩٦٤م

٩ .عبدالمنعم النمر الدكتور ابو الكلام آزاد المصلح الدينى فى الهند.
مطابع الأهرام التجارية. مصر ١٩٧٣م

١٠.غلام على آزاد — سبحة المرجان فى آثار هندوستان
معهد الدراسات الاسلامية
جامعة عليكره الاسلامية. ١٩٧٦م

١١.غوستاف لوبون — حضارات الهند .تعريب عادل زعتير

١٢.محمد اعزاز على — نفحة العرب، المكتبة الديوبندية ١٩٨٣م

١٣.محمد محسن الترهتى — اليانع الجنى فى أسانيد الشيخ عبد الغنى
المطبع الصديقى دلهى ١٩٦٥

١٤.مفتى محمد عباس — رطب العرب مطبع جعفرى لكنؤ

١٥.نواب صديق حسن خان — ابجد العلوم المطبعة الصديقية بوفال

١٦.يوسف البنورى — نفحةالعنبر من هدى الشيخ انور دلهى ١٩٣٦م

الكتب الأردية :

١٧.ابوالحسن على الحسنى الندوى — هندوستانى مسلمان مجلس تحقيقات ونشريات ندوة العلماء لكنؤ
ديسمبر١٩٦٧م

١٨. ثروت صولت — ملت اسلاميه كى مختصر تاريخ
الجزء الثانى مركزى مكتبه اسلامى
١٩٩٢م

١٩.زبيد أحمد الدكتور — عربى ادبيات ميں پاك وهند كا حصه
ترجمه شاهد رزاقى اداره ثقافة اسلامية
لاهور پاكستان الطبعة الأولى ١٩٧٣م

٢٠. سليمان ندوى السيد — مقالات شبلى مطبع المعارف دار المصنفين اعظم كره الهند .

٢١. شبير أحمد قادرآبادى — عربى زبان و ادب عهد مغلية ميں المجلد الاول، نظامى پريس لكنؤ. ١٩٨٢م

٢٢. شمس تبريز خان — عربى ادب ميں هندوستان كا حصه نظامى پريس لكنؤ. ١٩٨٩م

٢٣. صباح الدين عبد الرحمان — بزم تيمورية مطبعة المعارف دارالمصنفين اعظم كره الهند .

٢٤. عطاء الرحمان القاسمى — ألواح الصناديد شاه ولى اكادمى دلهى ١٩٨٩م

٢٥. فقير محمد جهيلمى — حدائق الحنفية مطبعة حسين سهيل لميتد لاهور ١٩٨٦م

٢٦. فياض محمود السيد — تاريخ ادبيات مسلمانان باكستان وهند جلد ٢ مطبعة المكتبة العلمية لاهور باكستان ١٩٧٢م

٢٧. محبوب رضوى السيد — تاريخ ديوبند علمى مركز ديوبند ١٩٧٢م

٢٨. محمد اكرام الشيخ — آب كوثر تاج كمپنى

٢٩. محمد اكرام الشيخ — رود كوثر كلاسيكل پرنٹرس دلهى ١٦

٣٠. محمد رحيم يخش — حيات ولى

٣١. محمد هادى عزيز لكنوى — تاريخ عباس المطبعة النظامية لكنؤ

٣٢. مسعود انور علوى كاكورى الدكتور — عربى ادب ميں اوده كا حصه

فخرالدین علی أحمد میموریل کمیٹی
لکنؤ ۱۹۹۰م

۳۳. مناظر أحسن کیلانی — هندوستان مین مسلمانون کا نظام تعلیم وتربیت ندوة المصنفین دلهی ۱۹٤٤م

۳٤. نظامی خلیق أحمد — ۱۸۵۷م کا تاریخی روزنامجه دلهی ۱۹۷۱م

۳۵. نوشه علی السید — مسلمانان هند وپاکستان کی تاریخ تعلیم سلمان اکادیمی کراچی ۱۹٦۲م

فهرس الموضوعات

المقدمة	ص	٣
الباب الاول:		٥
الشعر العربى فى الهند(١١٠٠م ـ ١٨٠٠م)		٥
الفصل الاول: الشعر العربى فى عصر السلاطين		٦
الفصل الثانى: الشعر العربى فى العصر المغولى		٢٣
الفصل الثالث: الشعر العربى فى العصر البريطانى		٣٦
الباب الثانى:		
الشعر العربى فى الهند(من ١٨٥٠م - إلى - ١٩٠٠م)		٤٥
الفصل الاول: الوضع السياسى		٤٦
الفصل الثانى: الوضع الدينى		٥٧
الفصل الثالث: الوضع الاجتماعى		٦٧
الفصل الرابع: الأثر المحلى على الشعر العربى		٧٤
الباب الثالث : أعـــــلام الشعـــــر		٧٩
الفصل الاول: الشاه عبد العزيز الدهلوى		٨٠
الفصل الثانى: المفتى محمد عباس اللكنوى		٩١
الفصل الثالث: ذوالفقار على الديوبندى		١٠١
الخاتمة		١٠٨
المراجع والمصادر		١١٢
فهرس الموضوعات		١١٦